مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٤)

أصل السنة واعتقاد الدين

للإمامين الرازيين

أبي حاتم وأبي زرعة رحمهما اللّه

تأليف

عَبْدالعزيز بنِ عبْداللّه الرَّاجحي

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية

شرح

أصل السنة واعتقاد الدين

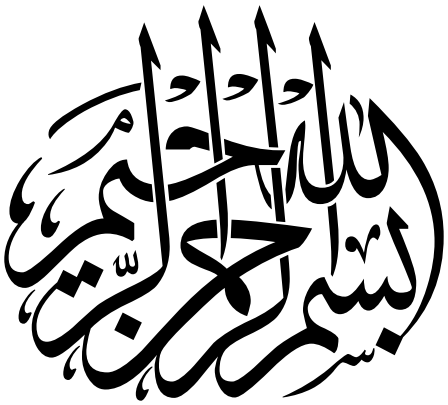
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. **أما بعد:**

فهذا شرح كتاب «أصل السنة واعتقاد الدين»؛ لأبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، وأبي زرعة هو الإمام عُبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فرُّوخ الرازي، براوية أبي القاسم اللالكائي بسنده إلى عبدالرحمن بن أبي حاتم، وهي عقيدة شاملة لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان والقرآن، والقدر والصحابة، والصفات، والصراط والميزان، والحوض، والجنة والنار، والشفاعة والبرزخ، ما فيه من نعيم أو عذاب، والملائكة والبعث بعد الموت، وأحكام أهل القبلة وأهل الكبائر، وأحكام أئمة المسلمين، والجهاد والحج معهم، وأحكام الفِرَق، كالمرجئة، والقدرية، والجهمية، والرافضة، والخوارج، وتفصيل معتقدهم في القرآن وفي كلام الله، وفي مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، وهجرهم.

أسأل الله ﷻ أن ينفع بها من قرأها أو سمعها، أو اطَّلع عليها.

كما أسأله سبحانه أن يرزق الجميع الإخلاص في القول والعمل، وأن يبارك في الجهود، وأن ينفع بالأسباب، وأن يثبت الجميع على الهدى إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ، قال: حدثنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم:

سألت أبي وأبا زرعة رضي الله عنهما عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، ومايعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً، ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم:

[١] الإيمان قول وعمل.

[٢] يزيد وينقص.

[٣] والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته.

[٤] والقدر خيره وشره من الله عز وجل.

[٥] وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام: أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب.

[٦] وهم الخلفاء الراشدون المهديُّون.

[٧] وأن العشرة الذين سمَّاهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ وقوله الحق.

[٨] والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ والكف عما شجر بينهم.

[٩] وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف.

[١٠] أحاط بكل شيء علما، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

[١١] والله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم.

[١٢] ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء.

[١٣] والجنة حق والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا.

[١٤] والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله ﷻ.

[١٥] والصراط حق.

[١٦] والميزان حق، له كفتان توزن فيه أعمال العباد؛ حسنها وسيئها حق.

[١٧] والحوض المكرم به نبينا حق.

[١٨] والشفاعة حق.

[١٩] وأن ناساً من أهل التوحيد يخرجون من النار بالشفاعة حق.

[٢٠] وعذاب القبر حق.

[٢١] ومنكر ونكير حق.

[٢٢] والكرام الكاتبون حق.

[٢٣] والبعث من بعد الموت حق.

[٢٤] وأهل الكبائر في مشيئة الله ﷻ.

[٢٥] ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله ﷻ.

[٢٦] ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

[٢٧] ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة.

[٢٨] ونسمع ونطيع لمن ولاه الله ﷻ أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة.

[٢٩] ونتبع السنة والجماعة.

[٣٠] ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

[٣١] وأن الجهاد ماض منذ بعث الله ﷻ نبيه عليه الصَّلاة والسَّلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء؛ والحج كذلك.

[٣٢] ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

[٣٣] والناس مؤمنون في أحكامهم، ومواريثهم.

[٣٤] ولا ندري ما هم عند الله ﷻ.

[٣٥] فمن قال: إنه مؤمن حقا؛ فهو مبتدع.

[٣٦] ومن قال: هو مؤمن عند الله؛ فهو من الكاذبين.

[٣٧] ومنقال: إني مؤمن بالله؛ فهو مصيب.

[٣٨] والمرجئة والمبتدعة ضلال.

[٣٩] والقدرية المبتدعة ضلال.

[٤٠] فمن أنكر منهم أن الله ﷻ لا يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر.

[٤١] وأن الجهمية كفار.

[٤٢] وأن الرافضة رفضوا الإسلام.

[٤٣] والخوارج مُرّاق.

[٤٤] ومن زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة.

[٤٥] ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر.

[٤٦] ومن شك في كلام الله ﷻ فوقف شاكا فيه يقول: لا أدري مخلوق، أو غير مخلوق فهو جهمي.

[٤٧] ومن وقف في القرآن جاهلا علم وبدع ولم يكفر.

[٤٨] ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

قال أبو محمد: وسمعت أبي يقول:

[٤٩] وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر.

[٥٠] وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار.

[٥١] وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة.

[٥٢] وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة.

[٥٣] وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

[٥٤] وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة.

[٥٥] وظل هذا الأمر.

[٥٦] ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد.

[٥٧] ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة:

[٥٨] يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يُغلِّظان في ذلك أشد التغليظ.

[٥٩] وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار.

[٦٠] وينهيان عن مجالسة أهل الكلام.

[٦١] والنظر في كتب المتكلمين.

[٦٢] ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدا .

[٦٣] قال أبو محمد: (وبه أقول أنا).

وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: "وبه أقول".

وقال شيخنا ابن المظفر: "وبه أقول".

وقال شيخنا ـ يعني المصنف ـ (اللالكائي): "وبه أقول".

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو القاسم اللالكائي: أخبرنا محمد بن المظفر المقري، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبش المقري، قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم أنه قال: سألت أبي، وأبا زرعة ﷺ عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا، ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: .....

الشَّرْح

هذا سؤال موجه من عبدالرحمن ابن أبي حاتم صاحب التفسير المعروف، يسأل فيه أباه الإمام محمد ابن إدريس الرازي المعروف بأبي حاتم، والإمام عُبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فرُّوخ الرازي المعروف بأبي زرعة، عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك.

والدين له معان؛ فيطلق على العبادة، ومنه قوله تعالى: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعرَاف: ٢٩].

ويطلق على الجزاء والحساب ومنه قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤].

والمراد هنا المعنى الأول، فيكون المعنى: مذاهب أهل السنة في أصول العبادة.

وأصول العبادة هي: ما يعتقده الإنسان، كالصلاة فهي عبادة من العبادات، وأصلها أن تعتقد أنها واجبة.

والمسألة عن مذاهب أهل السُّنَّة في أصول الدين، يعني: في الاعتقاد في الله، وفي الملائكة، وفي الكتب، وفي القرآن، وفي الصحابة، وفي الآخرة،وفي الجزاء والحساب، فهو يسأل عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين.

ومراده بالعلماء في قوله: (وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار)

علماء أهل السنة والجماعة، الذين نقلوا هذا الاعتقاد عمن سبقهم من أتباع التابعين عن التابعين عن الصحابة ﷺ، والصحابة علموا هذا الاعتقاد من نبيهم ﷺ ومن كتاب ربهم .

وذلك أن الله جل وعلا أنزل كتابه على نبيه الكريم ﷺ، والسنة وحي ثان، فيهما عقيدة المسلم، فاعتقد الصحابة ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم اعتقده التابعون، ثم اعتقده أتباع التابعين، ثم اعتقده العلماء والأئمة إلى يومنا هذا، وهم أهل الحق، وهم أهل السنة والجماعة الذين لزموا الحق، بخلاف من انحرف عما دل عليه كتاب الله وما دلت عليه سنة رسوله ﷺ، وما اعتقده أهل الحق من الصحابة والتابعون وأتباعهم، ثم العلماء من بعدهم، وذلك أن الصحابة انتشروا حين فتحوا البلدان وغزوا المشركين، وفتحوا بلادهم انتقلوا إليهم يعلمونهم دين الله، فهم ذهبوا إلى هذه الأمصار كي ينشروا دين الله ويعلموه للناس.

فهو يسألهم عن العقيدة الحقة، عقيدة أهل السنة والجماعة، وعقيدة الصحابة والتابعين، الذي أدرك عليه العلماء، ولهذا قال: (سألت أبي).

(فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا، ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم): أي: فقالا الإمامان الرازيان اعتقاد العلماء الذين أدركوهم في جميع الأمصار في الحجاز والعراق ومصر والشام واليمن.

إذن فهذه العقيدة هي التي أدركا عليها أهل الحق وهم العلماء، والعلماء إذا أُطلقوا فالمراد بهم: علماء الحق والبصيرة والشريعة، العلماء بالله وأسمائه وأفعاله.

[١] أن الإيمان قول وعمل:

[٢] يزيد وينقص:

الشَّرْح

[١] هذه هي المسألة الأولى، وهي مسألة مسمى الإيمان: فعقيدة أهل السنة والجماعة في مسمى الإيمان، وهي عقيدة الصحابة والتابعين والعلماء والأئمة من بعدهم، وهي التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ **أن الإيمان قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ**[(١)].

- **والقول نوعان**: قول القلب، وهو التصديق والإقرار، وقول اللسان؛ وهو النطق.

- **والعمل نوعان**: عمل القلب، وهو النية والإخلاص، والصدق والمحبة، والرغبة والرهبة، وعمل الجوارح؛ كالصلاة والصيام والزكاة والحج.

- **فيكون مسمى الإيمان مكون من أربعة أشياء:**

١ - **قول القلب**؛ وهو التصديق والإقرار، أي: أن يعتقد بقلبه أن الله هو المستحق للعبادة، وأن الله أوجب عليه الواجبات، وحرم عليه المحرمات. ويعتقد أن الله هو المستحق للألوهية.

٢ - **قول اللسان**؛ أي أن ينطق بلسانه بأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

---

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥/ ١٥٥٩)، والسنة للخلال (٣/ ٥٦٦/ ٩٦٤)، والشريعة للآجري (٢/ ٦٠٦/ ٢٤٢)، وشرح أصول أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٥/ ٣١٧).

٣ ـ **عمل القلب**؛ وهو النية والإخلاص والصدق والمحبة، والمحبة حركة تكون في القلب تبعث على العمل.

٤ ـ **عمل الجوارح**؛ كالصلاة والصيام، والزكاة والحج، كل هذه الأمور الأربعة داخلة في مسمى الإيمان.

فهذا هو مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

[٢] (يزيد وينقص) أي: ويعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فإذا فعل طاعة زاد إيمانه، وإذا فعل معصية نقص إيمانه.

ـ والأدلة على هذا كثيرة:

١ ـ قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجه الدلالة: أن الله أدخل في مسمى الإيمان وَجَلَ القلب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن، والتوكل على الله، وإقام الصلاة، والإنفاق مما رزقه الله؛ فكل هذه أدخلها في مسمى الإيمان؛ أعمال القلوب وأعمال الجوارح.

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

٣ ـ قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١].

٥ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحُجرَات: ١٥].

وجه الدلالة: أنهم هم الصادقون في إيمانهم، بخلاف العاصي فإنه ليس بصادق في إيمانه.

٦ ـ قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النِّساء: ٦٥].

٧ ـ قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**»(١). وفي رواية: «**بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٢).

إذن: مسمى الإيمان شاملٌ لما يعتقده الإنسان في قلبه، وما ينطق به لسانه، ولما يعمله بقلبه، ولما يعمله بجوارحه، فالنبي ﷺ جعل الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، والبضع: من ثلاثة إلى تسعة، فتكون الشعب فوق السبعين، وقد تتبع البيهقي رحمه الله هذه الشعب من الكتاب والسنة، فأوصلها إلى تسع وسبعين شعبة، وهو أعلى البضع، وألف في ذلك كتاباً سماه: «**شعب الإيمان**».

فالنبي ﷺ حينما ذكر أن الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ ذكر أعلاها فقال: «**فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» كلمة التوحيد هي أعلى شعب الإيمان. وذكر أدناها فقال: «**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، بَابُ أُمُورِ الإِيمَانِ، رقم: (٩)، و مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٣٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٣٥).

وبين الأعلى والأدنى شعب متفاوتة؛ منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة وكلها داخلة في مسمى الإيمان؛ فالصلاة شعبة، والزكاة شعبة، والصوم شعبة، والحج شعبة، والأمر بالمعروف شعبة، والنهي عن المنكر شعبة، وبر الوالدين شعبة، وصلة الرحم شعبة، والجهاد في سبيل الله شعبة؛ وهكذا.

«**وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**» الحياء خلق داخلي، يبعث الإنسان على فعل المحامد وما يزينه، وترك المذام وما يشينه، فالنبي ﷺ مثل **بشعبة قولية**، وهي قول لا إله إلا الله، ومثل **بشعبة فعلية**، وهي إماطة الأذى عن الطريق، ومثل **بشعبة قلبية**، وهي الحياء؛ وكلها داخلة في مسمى الإيمان.

٨ ـ ثبت في الصحيحين أيضا في حديث وفد عبد القيس أنهم لما قالوا للنبي ﷺ: إِنَّا مِنْ هَذَا الحَيِّ مِنْ رَبِيعَةَ وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذْهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، فَقَالَ: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ الإِيمَانِ بِاللَّهِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا لَهُمْ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا إِلَيَّ خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَى عَنْ: الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُقَيَّرِ وَالنَّقِيرِ**»[(١)].

وجه الدلالة : أن النبي ﷺ فسر الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وبإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء الخمس، فكلها داخلة في مسمى الإيمان.

والأدلة من الكتاب والسنة في زيادة الإيمان ونقصانه كثيرة جدا.

ـ ومن الآثار عن الصحابة في ذلك قول معاذ بن جبل لصاحبه:

---

(١) أخرجه البخاري : كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الروم: ٣١]، رقم: (٥٢٣)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (١٧).

«**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»[(١)] أي: يذكرون الله ويقرؤون القرآن فيزدادوا إيماناً.

۞ وأما المرجئة فخالفوا هذه النصوص، واعتقدوا خلاف ما تدل عليه، وهم فرق أربع:

الفرقة الأولى: **المرجئة الغلاة**[(٢)]، ويقال لهم أيضا: المرجئة المحضة، ويسمون: **جهمية المرجئة**. نسبة إلى الجهم بن صفوان[(٣)]، الذين يقولون إن الإيمان هو مجرد معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب؛ فمن عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، ومن جهل ربه بقلبه فهو كافر.

فالأعمال عندهم غير مطلوبة، فإذا عرف ربه بقلبه فهو مؤمن ولو ترك جميع الواجبات، وفعل جميع المحرمات، فلا يضره بعد ذلك؛ بل لو عمل جميع أنواع الردة، يكفيه أنه عرف ربه بقلبه.

وأفسد تعريف لمسمى الإيمان وأقبحه هو هذا التعريف، وهو تعريف كفري.

- اللوازم على مذهب الجهم بتعريفه للإيمان:

١ - على هذا المذهب تكون الأعمال غير مطلوبة من العبد وغير واجبة عليه.

---

(١) أخرجه البخاري معلقا (١/ ١٠).

(٢) ومنها قولهم: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد، فهو مؤمن. قال: والإيمان لا يتبعض،انظر: الملل والنحل (١/ ٨٨).

(٣) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرِز السَّمَرْقَندِي، رأس الجَهْمِيَّة مِن أكذَبِ الناس على الله - تعالى - وأَعْظَمِهم فتنةً وضلالةً في الدِّين، وكان مِن أعظم الناس نفيًا لصفات الله - تعالى - وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًّا عظيمًا، هلكَ زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

٢ ـ ألزمه العلماء على هذا التعريف بأن إبليس مؤمن؛ لأن إبليس يعرف ربه بقلبه، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحِجر: ٣٩]، وإبليس لم يقابل أمر الله بالإنكار، وإنما قابله بالإباء والاستكبار، فلم يقابل أمر الله بالجهل، لأنه يعرف أمر الله.

٣ ـ على هذا التعريف الفاسد أيضا يكون فرعون مؤمناً؛ لأن فرعون يعرف ربه بقلبه، قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النَّمل: ١٤]، وقال الله عن موسى: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإســـرَاء: ١٠٢] فيكون مؤمناً.

٤ ـ وعلى هذا التعريف لمسمى الإيمان يكون اليهود مؤمنون؛ لأنهم يعرفون صدق النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦﴾ [البَقَرَة: ١٤٦].

٥ ـ وعلى هذا أيضا يكون أبو طالب مؤمناً؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، وهو قد مات على الشرك؛ كما جاء في الحديث الصحيح وفيه: أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: «**يَا عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ**» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[(١)].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، بَابُ إِذَا قَالَ المُشْرِكُ عِنْدَ المَوْتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رقم: (١٣٦٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٢٤).

وقال في قصيدته المعروفة:

وَعَرَضْتَ دِينًا قَدْ عَرَفْتُ بِأَنَّهُ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا
لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حِذَارِي سُبَّةً لَوَجَدْتَنِي سَمْحًا بِذَاكَ مُبِينَا[1]

٦ ـ بل حتى إن العلماء قالوا إن الجهم كافر بتعريفه هو؛ لأنه ما عرف ربه، وهو أجهل الناس بربه، فيكون كافراً بشهادته على نفسه بهذا التعريف الذي عرف به مسمى الإيمان، فإنه يشمله هو، فيكون كافراً ـ والعياذ بالله ـ.

ـ العقائد الفاسدة التي تزعمها الجهم:

كما أن الجهم بن صفوان تزعم مذهب الإرجاء، فقد تزعم أيضاً عقيدة نفي الأسماء والصفات، وعقيدة الجبر، فيقول إن العبد مجبور على أفعاله، وأنه ليس له اختيار، وكما أنه كذلك يقول بفناء الجنة والنار.

فاشتهر الجهم بن صفوان بأربع عقائد:

١/ عقيدة نفي الصفات.

٢/ عقيدة الإرجاء.

٣/ عقيدة الجبر.

٤/ عقيدة القول بفناء الجنة والنار.

ـ والجهمية قد كفرهم خمسمائة عالم، كما قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية[2]:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَانِ
واللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ قد حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ١٨٨)، و البداية والنهاية (٣/ ٤٢)، وابن حجر في الإصابة (٧/٢٣٦).

(٢) انظر: نونية ابن القيم (١/ ٤٢).

الفرقة الثانية: **الكرَّامية**[١]، الذين يقولون: إن الإيمان هو مجرد النطق باللسان، فإذا نطق بلسانه فهم مؤمن كامل الإيمان، ولو كان مكذباً بقلبه. فإذا نطق بلسانه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فهو مؤمن كامل الإيمان، وإن كان مكذباً بقلبه فهو يخلد في النار أيضا، فيكون مؤمناً كامل الإيمان لكونه نطق بلسانه، ويكون مخلداً في النار لكونه كذب بقلبه، فيجمعون بين الأمرين المتناقضين، فيلزم على مذهبهم أن المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار، والتزموا بهذا.

- وهذا المذهب يلي مذهب الجهم في الفساد، فمذهب الجهم أن الإيمان هو معرفة القلب فقط، ومذهب الكرامية: أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، وهذا من أبطل الباطل، فالله جل وعلا قال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: ٨]. المراد أنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ بألسنتهم، وما هم بمؤمنين أي: بقلوبهم.

وقال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون: ١].

الفرقة الثالثة: **الماتريدية**[٢] **والأشاعرة**[٣]، وقولهم أن الإيمان التصديق بالقلب فقط، وهو رواية عن الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ.

الفرقة الرابعة: **مرجئة الفقهاء**[٤]، وهو أن الإيمان هو تصديق

---

(١) هم أتباع محمد بن كرام بن عراق بن حزبة السجستاني المتوفى سنة (٢٥٥هـ). انظر: العرش للذهبي (١/ ١٣٨)، ومفاتيح العلوم (١ / ٤٧)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٤١).

(٢) والماتريدية تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي المتوفى سنة (٣٣٣هـ) كان معدوداً في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، انظر: العرش للذهبي (١/ ٦٩).

(٣) الأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤هـ)، انظر: العرش للذهبي (١/ ٥٦).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين(١/ ١٣٢)، وكتاب الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١).

بالقلب والإقرار باللسان، وهذه هي الرواية المشهورة التي عليها أكثر أصحاب الإمام أبي حنيفة.

وهذه الطائفة هي من أهل السنة، غير أنهم خالفوا الجمهور خلافاً آثار تترتب عليه.

فمرجئة الفقهاء يقولون إن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وأما الأعمال فلا تدخل في مسمى الإيمان ولكنها مطلوبة، فالواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، ومن فعل الواجب أثابه الله واستحق المدح، ومن فعل المحرمات فهو متعرض لعقوبة الله وسخطه، ويقام عليه الحد إذا كانت هذه المعصية قد رتب عليها حد، لكن يقولون لا نسميها إيمان؛ نسميها بر، وتقوى، وهدى؛ **وقالوا إن الإنسان عليه واجبان**:

واجب الإيمان، وواجب العمل.

وهم طائفة من أهل السنة، كما قرر الطحاوي في عقيدته فقال: **(أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالْجَنَانِ)**[(١)].

ـ **وأول من قال بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان**: حماد بن أبي سليمان[(٢)] شيخ الإمام أبي حنيفة، ثم تبعه الإمام أبو حنيفة، **فقالوا**:

إن الإيمان شيئان: تصديق القلب، والإقرار باللسان، والأعمال مطلوبة لكنها ليست من الإيمان[(٣)].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/ ٦٩٨).

(٢) العَلَّامَةُ، الإِمَامُ، فَقِيْهُ العِرَاقِ، أَبُو إِسْمَاعِيْلَ بنُ مُسْلِم الكُوْفِيُّ، مَوْلَى الأَشْعَرِيِّيْنَ، أَصْلُهُ مِنْ أَصْبَهَانَ، قال ابن عدي: حماد كثير الرواية، له غرائب، وهو متماسك، لا بأس به. وَقَالَ ابْن معِين وغيره: ثِقَة، وَقَالَ ابْن عون وَذكروا حَمَّاد، فَقَالَ: كَانَ مِمَّن أحدث الإرجاء، انظر: الكامل في الضعفاء (٣/ ٥)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٥٢٧)، وميزان الاعتدال (١/ ٥٩٥).

(٣) انظر: الإيمان لابن تيمية (١/ ٣٠٣)، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/ ٣٨٧).

أما جماهير أهل السنة والجماعة فقالوا ـ كما سبق ـ: أن الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح، ونسمي الأعمال إيمانا، ونسميها هدى، ونسميها تقى، ونسميها برا[(١)].

ـ مرجئة الفقهاء وإن وافقوا جمهور أهل السنة في أن الأعمال مطلوبة، لكن لهذا الخلاف آثار تترتب عليه، منها:

أولاً: أن جماهير أهل السنة وافقوا الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى، فقالوا الأعمال نسميها إيمان، ومرجئة الفقهاء وافقوا الكتاب والسنة في المعنى، وخالفوهما في اللفظ، ولا يجوز للإنسان أن يخالف الكتاب والسنة، لا في اللفظ ولا في المعنى، بل الواجب على الإنسان أن يتأدب مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؛ فما سماه الله إيماناً نسميه إيمانا.

ثانياً: أنهم فتحوا باباً للمرجئة المحضة وهم الجهمية، فلما قالوا إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، فتحوا بابا ولج منه المرجئة المحضة، فقالوا إن الأعمال ليست مطلوبة.

ثالثاً: فتح الباب للفساق؛ لأن مرجئة الفقهاء يقولون الإيمان واحد وهو التصديق في القلب، وعلى ذلك فإيمان العاصي وإيمان المطيع واحد؛ بل إنهم قالوا: إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد؛ وهو التصديق، فكلٌ مصدق. فيأتي السكير العربيد فيقول: أنا مؤمن كامل الإيمان كإيمان جبريل وميكائيل، وكإيمان أبي بكر وعمر، فإذا قيل لهذا الفاسق: أبو بكر وعمر لهم أعمال عظيمة، سيقول: ليس لنا دخل في الأعمال، أنا مصدق وأبو بكر مصدق، فإيماني كإيمان أبي بكر. فكيف يكون إيمان هذا الفاسق العربيد كإيمان أبي بكر الذي لو

(١) للمزيد انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٧/ ٣٨٨-٣٩٨).

وزن إيمانه بإيمان أهل الأرض لرجح[(١)].

رابعاً: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو قول: أنا مؤمن إن شاء الله.

فمرجئة الفقهاء يمنعون الاستثناء في الإيمان، فيمنعون من أن يقول الشخص: أنا مؤمن إن شاء الله، وأن من استثنى في إيمانه فهو شاك في دينه، يقولون: كيف تشك وأنت تعلم أنك مصدق!، ويسمون من يقول ذلك بالشكاكة إنما أنت مؤمن جزما.

أما جمهور أهل السنة فقالوا إن المسألة فيها تفصيل: إن كان الإنسان مقصوده بالشك في أصل إيمانه؛ فهذا ممنوع، أما إذا أراد الإنسان أن الأعمال والواجبات متشعبة ومتعددة، وأن الإنسان لا يزكي نفسه، ولا يجزم بأنه قد أدى ما عليه. فإنه يستثني في هذه الحالة، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وهذا الاستثناء راجع إلى الأعمال، فأنا لا أزكي نفسي، ولا أجزم بأني قد أديت ما علي ـ والنقص حاصل ـ، فأنا أقول: أنا مؤمن إن شاء الله .

وكذلك إذا أراد التبرك بذكر اسم الله، فإنه يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفَتْح: ٢٧]. فأتى بالاستثناء مع أنه محقق، وكذلك إذا أراد عدم علمه بالعاقبة[(٢)].

ـ وبهذا يتبين أن مذهب جماهير أهل السنة والجماعة هو الحق

(١) كما جاء في الحديث: «**لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ**» أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٧٨/ ٨٢١)، والخلال في السنة (٤/ ٤٤/ ١١٣٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ١٤٣/ ٣٥).

(٢) انظر: مزيد بسط على هذه المسألة في: الإعانة على تقريب الشرح والإبانة لابن بطة (شرح الإبانة) (١/ ٤٩٤-٥١٢).

الموافق للكتاب والسنة، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ تصديق القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح.

۞ قول أهل السنة في الكفر بم يكون:

يقابل الإيمان الكفر، فكما أن أهل السنة يقولون إن الإيمان يشمل القول والعمل واعتقاد القلب، فكذلك الكفر، فإنه يكون بالقول والفعل، ويكون بالعمل، ويكون بالقلب تكذيباً أو شكاً.

١ ـ فالتكذيب، كما لو كذب الله، أو كذب رسوله ﷺ، فهذا كفر.

٢ ـ والشك، كما لو شك بالقيامة، أو شك في الجنة، أو شك في ربوبية الله، أو شك في البعث، فهذا كفر.

٣ ـ أو اعتقاداً، كأن يعتقد أن لله صاحبة أو ولدا، أو أن يعتقد أن هناك مدبر لهذا الكون مع الله، أو يعتقد عدم وجوب أمر عُلم من الدين بالضرورة وجوبه؛ كأن يعتقد عدم وجوب الصلاة، أو عدم وجوب الزكاة، أو عدم وجوب الحج، أو يعتقد عدم تحريم أمر عُلم من الدين بالضرورة تحريمه؛ كأن يعتقد حل الربا أو حل الزنا، أو حل شرب الخمر. أما إذا أنكر شيئا من مسائل الاختلاف، فالاختلاف يدرأ عنه الكفر؛ كما لو أنكر شخص تحريم شرب الدخان، فإنه لا يكفر؛ لأن فيه شبه لبعض الناس، وإن كان الصواب أن شربه محرم.

٤ ـ ويكون الكفر باللسان أيضا، كأن يدعو غير الله، أو يدعو أصحاب القبور، أو الأموات، فيسألهم تفريج الكربات وشفاء المرض، أو كأن يسب الله أو رسوله ﷺ، فإذا سب الله أو سب رسوله، أو استهزأ بالله أو بكتابه، أو برسوله أو بدينه؛ كفر بالقول.

٥ ـ ويكون الكفر بالعمل، كأن يسجد للصنم، أو كأن يمتهن المصحف، فيلطخه بالنجاسة، أو يطأه بقدميه، فيكفر بهذا العمل.

ـ وبهذا يكون الكفر: بالقلب؛ تكذيبا، وشكا، واعتقادا، ويكون باللسان، وبالجوارح؛ هذه هو معتقد أهل السنة والجماعة.

۞ مذهب المرجئة في الكفر بم يكون:

يقابل أهل السنة المرجئة فيقولون: إن الكفر لا يكون إلا بالقلب فقط، فإذا اعتقد بقلبه كفر.

فلا يكون الكفر عندهم باللسان ولا بالجوارح مثل ما قالوا في الإيمان، فيقولون: إن من سب الله أو سب رسوله لا يكفر، وإنما هذا دليل على الكفر، فإذا اعتقد هذا السب كفر، وإلا فلا يكفر.

وإذا سجد للصنم يقولون: ليس بكفر، بل هو دليل على الكفر، فإذا اعتقد كفر وإلا فلا يكفر؛ وهذا من أبطل الباطل.

مسألة:

على هذا فالذي يقول إن العمل شرط في الصحة، أو شرط في الكمال، نقول له: إن الشرط خلاف المشروط، فالشرط خارج عن المشروط وليس داخلاً فيه، مثل الوضوء خارج عن الصلاة، وإذا كان خارجاً فهذا مذهب المرجئة، وذلك أنهم يقولون: إن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان.

فالقول بأن العمل شرط كمال فهذا قول المرجئة؛ لأنه أخرج العمل عن مسمى الإيمان، ونحن نقول: إن العمل داخل في الإيمان، أي: أن العمل جزء من الإيمان، فالإيمان مكون من هذه الأجزاء، فيشمل:

قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح.

هذا معنى قول الإمامان الرازيان: (الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص).

[٣] والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته:

الشَّرح

[٣] القرآن هو كلام الله ﷻ، سمعه جبرائيل من الله ﷻ، ونزل به على قلب نبينا محمد ﷺ، كما قال الله جل وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٤]. فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن كلام الله، وأن الله تكلم به، وسمعه جبرائيل عليه السلام، ونزل به على نبينا محمد ﷺ.

- وهو كلام الله لفظه ومعناه، منزل غير مخلوق، ولهذا يقول أهل السنة: (**كَلَامُ اللَّهِ غير مخلوق، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ**)[(١)].

(**مِنْهُ بَدَأَ**) أي: تكلم به.

(**وَإِلَيْهِ يَعُودُ**) أي: في آخر الزمان حينما يترك الناس العمل به فيرفع من الصدور ومن المصاحف، وهذا من أشراط الساعة الكبار.

- وهو حروف ومعانٍ، والله تكلم به بصوت يُسمع، سمعه منه جبرائيل.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل كلام الله الحروف والمعاني، ولهذا قال الإمامان: (والقرآن كلام الله غير مخلوق).

وقولهما: (غير مخلوق) المقصود به: الرد على المعتزلة الذين

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم: (٢/ ٢٥٥/ ٣٧٣).

يقولون إن كلام الله مخلوق ـ وكلام الله صفة من صفاته ـ فقولهم أنه مخلوق لفظه ومعناه.

ولهم في هذا شبه عقلية وشبه شرعية وهي معروفة، والتفصيل في هذا يطول، **ومن ذلك**:

أنهم يستدلون بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرّعد: ١٦] الله خالق والكلام خارج عن الله، فيكون مخلوق، فالله خالق وما سواه مخلوق، إذن الكلام سوى الله فيكون مخلوقاً.

والجواب: أن هذا من أبطل الباطل، فالله الخالق بذاته وبأسماءه وصفاته، والصفات ليست بمنفصلة عن الذات، والكلام صفة من صفاته ﷻ.

قولهما: (بجميع جهاته) أي: حيثما تصرف، فإذا كتبه الكاتب فقد كتب كلام الله، وإذا قراه القارئ فقد قرأ كلام الله، وإذا سمعه السامع فقد سمع كلام الله، وإذا حفظه الحافظ فقد حفظ كلام الله؛ فهو بجميع جهاته كلام الله.

۞ المذاهب في كلام الله:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، بجميع جهاته.

القول الثاني: للمعتزلة، يقولون إن القرآن مخلوق.

وهذا من أبطل الباطل؛ بل إن الأئمة كفروا من قال إن القرآن مخلوق، كالإمام أحمد وغيره فقالوا: «**مَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ**»[(١)] كما سيأتي.

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (١/ ٥٠٨/ ١٧٦)، والخلال في السنة (٥/ ١٠١/ ١٧٢٣)، والدارمي في الرد على الجهمية (١/ ٢٠٦/ ٣٧٨).

فالمعتزلة يقولون عن الكلام: هو اللفظ والمعنى، وكلاهما مخلوق.

القول الثالث: لأبي المعالي الجويني، يقول: إن كلام الله هو الحروف فقط.

القول الرابع: للأشاعرة، فإنهم يقولون: إن الكلام هو المعنى فقط، وأما اللفظ والحروف فليسا كلام الله، ولهذا يقولون: القرآن ليس فيه كلام الله، وإنما تأدى به كلام الله، وقالوا عن كلام الله معنى قائم بنفسه لا يُسمع، فجعلوا الرب لا يستطيع الكلام ـ والعياذ بالله ـ[(١)].

فإذا قلنا لهم: من أين جاءنا هذا القرآن؟ **قالوا**: إن الله اضطر جبريل اضطرارا، ففهم المعنى القائم بنفسه، فعبر بهذا القرآن، فجبريل هو الذي عبر بهذا القرآن، فالقرآن عبارة عن كلام الله، وأما كلام الله فهو معنى قائم بنفسه لا يُسمع كالعلم، فهذا القرآن يسمى كلام الله مجازاً، وإنما هو تأدى به كلام الله، **ولهم ثلاثة أقوال في الذي عبر به**:

١ ـ قالت طائفة منهم: الذي عبر به جبريل عليه السلام.

٢ ـ وقالت طائفة أخرى: الذي عبر به محمد ﷺ.

٣ ـ وقالت طائفة ثالثة: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ والله لم يتكلم به.

ومع كون الأشاعرة أقرب الطوائف إلى أهل السنة، لكن هذا كلامهم في القرآن مع الأسف.

ـ **وهم يثبتون سبع صفات هي**: الحياة، والكلام، والبصر، والسمع، والعلم، والقدرة، والإرادة، فمنها الكلام لكنهم لم يثبتوه

(١) بسط شيخ الإسلام قِول الأشاعرة في كلام الله، انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٥١-٤٥٨).

على وجهه، **حتى إن بعض غلاتهم يقول**: إنك لو وطأت القرآن برجلك ليس عليك شيء، إذ ليس فيه شيء من كلام الله، فكلام الله معنى قائم بنفسه! نسأل الله السلامة والعافية.

وهذا القول باطل، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: **(كَلَامُ اللَّهِ؛ حُرُوفَهُ وَمَعَانِيهِ؛ لَيْسَ كَلَامُ اللَّهِ الْحُرُوفَ دُونَ الْمَعَانِي، وَلَا الْمَعَانِيَ دُونَ الْحُرُوفِ)**[(١)].

ليس كلام الله الحروف كما يقوله أبو المعالي الجويني، ولا المعاني دون الحروف كما يقوله الأشاعرة؛ بل كلام الله اللفظ والمعنى، الحروف والمعاني، وبصوت يسمع.

مسألة: إثبات الصوت لله:

الأشاعرة ينكرون الصوت، ويقولون: لو قلنا إن الكلام حروف وأنه صوت للزم من ذلك أن تحل الحوادث في ذات الرب، والصوت حادث والحروف حادثة، ففراراً من ذلك قالوا: الكلام لا يكون حروفاً ولا أصواتاً، حتى لا تحل الحوادث في ذات الرب.

وهذا كلام باطل، فالحادث هو كلام المخلوق، أما كلام الخالق فلا يشبه كلام المخلوق.

ـ والأدلة على إثبات الصوت لله كثيرة، فمن ذلك:

١ ـ ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ**»[(٢)]. فيناديه بصوت.

---

(١) انظر: العقيدة الواسطية (١/ ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، رقم (٤٧٤١)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الإيمان، رقم (٢٢٢).

٢ ـ وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٠] والنداء إنما يكون من بعد، ولابد من الصوت.

٣ ـ وقال تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مَريَم: ٥٢] والنجي هو الكلام من قرب، والأدلة في هذا كثيرة.

الخلاصة:

عقيدة أهل السنة والجماعة كما قرر الإمامان الرازيان أن القرآن كلام الله، لفظه ومعناه، حروفه ومعانيه، وأنه منزل غير مخلوق، وأن الله تكلم به بحرف وصوت يسمع، سمعه جبرائيل، فنزل به على قلب محمد ﷺ، كمال قال سبحانه: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٤]. وهو بجميع جهاته كلام الله، فإن كتبه الكاتب فقد كتب كلام الله، وإن سمعه السامع فقد سمع كلام الله، وإن حفظه الحافظ فقد حفظ كلام الله.

[٤] والقدر خيره وشره من الله ﷻ:

الشَّرْح

[٤] يعني: أن تؤمن بأن القدر خيره وشره من الله، وأن الله قدر الخير والشر، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة، لا يصح الإيمان إلا به، فمن لم يؤمن بالقدر فهو كافر، **ومن الأدلة على ذلك**:

١ ـ قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البَقَرَة: ١٧٧]. فذكر خمسة أصول. وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القَمَر: ٤٩].

٢ ـ وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفُرقان: ٢].

٣ ـ وثبت في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبرائيل عليه السلام لما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[(١)].

وهذا أول حديث في صحيح الإمام مسلم، وله قصة وذلك أن يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ ـ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ ـ فَقُلْنَا: لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ، وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ، فَقُلْتُ: أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٨).

يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ، قَالَ: «فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»(١).

فعبدالله بن عمر يرى أن القدرية كفار، وذلك أن الذي لا تقبل منه أعماله هو الكافر، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤].

٤ ـ وفي السنن عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ قال: (أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَاللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ)(٢).

٥ ـ وفي المسند أنه ﷺ قال: «**فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّارِ**»(٣).

وهذا كله يدل على أن من لم يؤمن بالقدر فهو كافر.

---

(١) تقدم فيما قبله.

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، رقم: (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢٢٧٠٧)، والقدر لابن وهب واللفظ له (١/ ١٢١/ ٢٦).

۞ مراتب القدر:

الإيمان بالقدر لا يتم إلا بالإيمان بمراتبه الأربع، من آمن بها فهو مؤمن بالقدر، ومن لم يؤمن بها فليس بمؤمن بالقدر، وهذه المراتب على سبيل الإجمال هي:

المرتبة الأولى: **العلم.**

المرتبة الثانية: **الكتابة.**

المرتبة الثالثة: **الإرادة أو المشيئة.**

المرتبة الرابعة: **الخلق والإيجاد.**

فالمرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهو أن تؤمن بأن الله قد علم الأشياء قبل كونها في الأزل، علم ما كان في الماضي، وما يكون في الحاضر، وما يكون في المستقبل، وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال: ٢٣].

وقال عن الكفار الذين سألوا الرجعة إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام: ٢٨]. إذن فقد علم الله ما سيكون لو كان.

وقال عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦-٤٧].

العلم بأي شيء؟ أن تؤمن بعلم الله بالذوات والصفات والأفعال والحركات والسكون؛ كلها يعلمها الله.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهو الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، كتب الذوات والصفات، والأفعال والحركات

والسكون، فكل شيء بقدر حتى العجز والكيس. **والأدلة على هاتين المرتبتين كثيرة؛ فمنها:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾ [الحَجّ: ٧٠]، وهو اللوح المحفوظ.

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحَديد: ٢٢]، وهو اللوح المحفوظ.

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يَس: ١٢]، وهو اللوح المحفوظ.

٤ ـ وقال النبي ﷺ: «**وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**»(١). و«الذكر» هو اللوح المحفوظ.

٥ ـ وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

٦ ـ ثبت في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، رقم: (٣١٩١).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، رقم: (٤٧٠٠)، والترمذي: أَبْوَابُ الْقَدَرِ، رقم: (٢١٥٥)، وقال هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الْقَدَرِ، رقم: (٢٦٥٣).

إذن فكتابة المقادير كانت قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، والمقادير كل شيء مكتوب من الذوات والصفات، والأفعال والحركات والسكون كلها مكتوبة، كلها علمها الله وكتبها.

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة، وهي: أن تعتقد وتعلم وتؤمن بأن الله أراد كل شيء في هذا الوجود، وأنه لا يقع في ملك الله ما لا يريد، بل كل شيء في هذا الوجود، فالله أراد وجوده كوناً وقدراً، ولا يمكن أن يقع في ملك الله ما لا يريد.

فأراد الله كل ما في هذا الكون من الخير ومن الشر، المعاصي والطاعات، والكفر والإيمان، والعجز والكسل؛ كلها أراد الله وقوعها كوناً وقدراً، لكن المعاصي ما أرادها ديناً وشرعا، لكن أرادها كوناً وقدراً.

ـ المذاهب في تقسيم الإرادة:

المذهب الأول: أهل السنة قسموا الإرادة إلى إرادتين:

١ ـ إرادة دينية شرعية.

٢ ـ إرادة كونية قدرية.

المذهب الثاني: مذهب أهل البدع فلم يقسموا الإرادة، بل جعلوها إرادة واحدة، فضلُّوا وأضلُّوا.

ـ فأي الإرادتين المرادة هنا؟

هي الإرادة الكونية القدرية.

فكل شيء يقع في هذا الوجود أراد الله وجوده كوناً وقدراً، المعاصي والكفر أراد وقوعها ووجودها، فهي مراده؛ لا لذاتها، وإنما لما يترتب عليها من الحكم والأسرار؛ فمثلاً:

أراد الله خلق إبليس وهو مصدر الشر والشقاء، وهو القائد لكل شر وفساد وبلاء، لولا خلق الله لإبليس، لفاتت عبوديات متنوعة مرادة لله ﷻ.

فلو لم يكن هناك كفر ومعاص، وكان الناس كلهم مؤمنون فإنها تفوت عبوديات متعددة، مثل:

١/ عبودية الجهاد في سبيل الله.

٢/ عبودية الولاء والبراء، الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، من أهل المعاصي والكفر.

٣/ عبودية الدعوة إلى الله.

٤/ عبودية الحب في الله، والبغض في الله.

٥/ عبودية الأمر بالمعروف، وعبودية النهي عن المنكر؛ كل هذه العبوديات تفوت.

٦/ ولفاتت آثار أسماء الله؛ كالغفور، التواب، الرحيم.

٧/ وكذلك آثار أسماء الله القهرية؛ كالجبار، المتكبر، المنتقم.

لو كان الناس كلهم مؤمنين لفاتت هذه العبوديات وهذه المعاني.

ـ فالإرادة شاملة الإيمان بأن الله أراد كل شيء في هذا أن يقع، ولا يمكن أن يقع في ملك الله ما لا يريد، وإلا لو كان يقع في ملكه ما لا يريد لكان عاجزاً.

هذه الإرادة وهي الإيمان بأن الله أراد كل شيء يقع في هذا الوجود قدره وأراده؛ من خير وشر، من طاعات ومعاص، من إيمان وكفر.

ـ **والأدلة على الإرادة كثيرة، منها:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعَام: ١٢٥] وهذه إرادة كونية قدرية.

٢ ـ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ [المَائدة: ١].

٣ ـ وقوله: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ [الأنفَال: ٦٧].

٤ ـ وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: ١٨٥] وهذه إرادة دينية شرعية.

ـ الإرادة الكونية القدرية مرادفة للمشيئة، ولهذا يقول المسلمون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد، وهو الإيمان بأن الله خلق كل شيء، وأن أي شيء في الوجود فالله خلقه وأوجده، **ومن الأدلة:**

١ ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرّعد: ١٦].

٢ ـ وقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفُرقان: ٢].

هذه مراتب الإيمان بالقدر الأربع، لابد من الإيمان بها، ومن لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر.

*** والقدرية طائفتان:**

الطائفة الأولى: **غلاة القدرية**[(١)]، الذين أنكروا المرتبتين الأوليين، وهي مرتبة العلم ومرتبة الكتابة للأشياء، وهم الذين ظهروا في أواخر عهد الصحابة، وهم الذين تبرأ منهم عبدالله بن عمر رضي الله عنهما وقال: «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»[(٢)].

يقولون: إن الأمر مستأنف وجديد، أنكروا علم الله السابق، ولذلك وصفوا الله بالجهل، إذ أنكروا علم الله بالأشياء قبل وقوعها، وهذا كفر بالإجماع.

وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله: (نَاظِرُوا الْقَدَرِيَّةَ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَقَرُّوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا كَفَرُوا)[(٣)].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٨/ ٤٥٠).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢٣/ ٣٤٩).

فإن أقروا به وأن الله علم الأشياء، إذن كيف تقولون إن الله علم الأشياء، ولم يخلق أفعال العباد!

فإن أقروا به خصموا فيما يعتقدونه من أن أفعال العباد غير مخلوقة لله.

وإن أنكروا العلم كفروا؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل.

ـ وهؤلاء هم النفاة الجبرية، وهم كفار، وقد انقرضوا.

الطائفة الثانية: **عامة القدرية**[(١)]، وهم المجوسية، وهم مبتدعة، أثبتوا المرتبتين الأوليين، آمنوا بعلم الله الأزلي، وآمنوا بكتابته للأشياء في اللوح المحفوظ، ولكنهم أنكروا عموم الإرادة، وعموم الخلق والإيجاد. يعني: أنهم آمنوا بالإرادتين الأخيرتين؛ الإرادة والخلق، إلا أنهم أنكروا عمومهما. فقالوا عن الله ـ تعالى الله ـ أراد كل شيء في هذا الوجود إلا أفعال العباد ما أرادها؛ خيراً كانت أم شرا، فالعباد هم الذين أرادوا أفعالهم، فالله لم يرد المعصية، وإنما العبد هو الذي أرادها.

ـ **سبب ضلالهم**:

هؤلاء آمنوا بالإرادة الشرعية، ولم يؤمنوا بالإرادة الكونية، كما أن الجبرية ليس عندهم إلا الإرادة الكونية، فضلوا، **فسبب ضلالهم**:

١ ـ أنهم لم يُقَسِّمُوا الإرادة إلى قسمين، فليس عندهم إلا الإرادة الدينية الشرعية فقط، ولهذا أنكروا إرادة الله للمعاصي.

---

(١) الْقَدَرِيَّةُ الْمَجُوسِيَّةُ: الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي خَلْقِهِ كَمَا جَعَلَ الْأَوَّلُونَ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي عِبَادَتِهِ. فَيَقُولُونَ: خَالِقُ الْخَيْرِ، غَيْرُ خَالِقِ الشَّرِّ، وَيَقُولُ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي مِلَّتِنَا: إنَّ الذُّنُوبَ الْوَاقِعَةَ لَيْسَتْ وَاقِعَةً بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرُبَّمَا قَالُوا: وَلَا يَعْلَمُهَا أَيْضًا وَيَقُولُونَ: إنَّ جَمِيعَ أَفْعَالِ الْحَيَوَانِ وَاقِعٌ بِغَيْرِ قُدْرَتِهِ وَلَا صُنْعِهِ فَيَجْحَدُونَ مَشِيئَتَهُ النَّافِذَةَ وَقُدْرَتَهُ الشَّامِلَةَ، انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٨/٢٥٨).

٢ ـ أنهم أنكروا عموم الخلق والإيجاد، فقالوا: إن الله لم يخلق المعاصي ولم يخلق الكفر، وإنما الذي خلقها العبد.

ـ الحكم فيهم[١]:

هؤلاء لم يكفرهم العلماء؛ لأن لهم شبهة عرضت لهم فتأولوا، وفَرْقٌ بين الجاحد، والمتأول، فالجاحد يكفر، والمتأول له شبهة فلا يكفر.

ـ شبهتهم:

قالوا: لو قلنا إن الله أراد المعاصي وخلقها وعذب عليها؛ لصار ظالما، ففراراً من ذلك قالوا: إن الله ما أراد المعاصي ولا خلقها، إنما العبد هو الذي أراد المعاصي، فإذا عُذِّب؛كان عذابه على الشيء الذي أراده وخلقه.

ـ انبنى على الشبهة:

١ ـ أنهم أوجبوا على الله أن يخلد العاصي في النار، فهم معتزلة في الصفات، قدرية في الأفعال. فقالوا: العبد هو الذي خلق المعصية؛ فإذا فعل الكبيرة فيجب على الله أن يخلده في النار.

٢ ـ لا يجوز على الله أن يعفو عنه، هكذا يقولون والعياذ بالله.

٣ ـ كما أنهم قالوا: يجب على الله أن يثيب المطيع على طاعته؛ لأنه هو الذي أوجد الطاعة، فيجب على الله أن يثيب المطيع، فأوجبوا على الله ذلك ـ والعياذ بالله ـ.

وقالوا: إنه يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته؛ وهذا من أبطل الباطل.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٢/ ٤٠٩).

فالثواب تفضلٌ من الله ﷻ، والعاصي ـ إن كانت معصيته تحت الشرك ـ تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه، وإن شاء عفا عنه.

فأهل السُّنَّة والجماعة يقولون ـ كما سبق ـ: أن الله خلق المعاصي والسيئات، والعاصي تحت مشيئة الله إن كانت معصيته تحت الشرك، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة بإيمانه وتوحيده وإسلامه، وإن شاء عذبه، ثم يخرجه بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

وكذلك أوجب الله على نفسه أن لا يعذب الموحدين، وهذا إيجاب تفضل وإكرام، لم يوجبه أحد عليه سبحانه، ولكنه أوجبه على نفسه من نفسه.

فحق العباد حق تفضل وإكرام، وأما حق الله فهو حق إيجاب وإلزام، أنت مُلْزَم بأن توحد الله وأن تقوم بحقه، وأما حق الله إذا وحَّدته، فالله تعالى تفضل بأن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، كما قال ابن القيم رحمه الله[1]:

مَا لـلعـبـاد عَـلَـيْـهِ حق وَاجِـب ... هُوَ اوجب الاجر الْعَظِيم الشان
كـلا وَلَا عـمـل لَـدَيْـهِ ضـائـع ... إِن كَـانَ بـالاخـلاص والاحسـان
إن عـذبُـوا فـبـعـدلـه أَوْ نـعـمـوا ... فـبـفـضـلـه وَالْـحَـمْـد لـلـمـنـان

فهؤلاء القدرية المتوسطة، ويقال: **عامة القدرية**، فهؤلاء مبتدعة لهذه الشبهة التي عرضت لهم، وهم معتزلة في الصفات، قدرية في الأفعال.

والمعتزلة من العلماء من كفرهم، لكن الجمهور على أنهم مبتدعة.

---

(١) انظر: الكافية الشافية (١/ ٢٠٨).

الاحتجاج بالقدر على المعاصي ومرادهم بالظلم المنفي عن الله:

القدرية يحتجون بالقدر على المعاصي، فحينما قالوا بأن الله لم يقدر المعاصي فرارًا بزعمهم من القول بأن الله خلق المعاصي وعذب عليها فيكون ظالما. وهذا باطل؛ **فأهل السنة والجماعة يُعرّفون الظُّلْمُ كما هو في اللغة**: «**وَضْعُ الشّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِه**»[(١)]؛ كأن ينقص أحداً من ثوابه، أو يُحَّمله أوزار غيره، هذا هو الظلم الذي حرمه الله على نفسه، ونزه نفسه عنه.

ولكن القدرية جهلوا معنى الظلم، فالقدرية قالوا: ما كان ظلماً وقبيحاً من المخلوق، فهو ظلم من الخالق لو فعله؛وهذا باطل؛ ليس هذا هو الظلم.

والجبرية ـ كالأشاعرة وغيرهم ـ قالوا: الظلم هو: تصرف المالك في غير ملكه.

وهل هناك شيء لا يملكه الله؟! الله هو مالك كل شيء، إذن فالجبرية يقولون: الظلم لا وجود له؛ فإنَّ تصرف المالك في غير ملكه، أو مخالفة الآمر، كالجمع بين النقيضين.

ويقولون: الظلم مخالفة الآمر، والله ليس فوقه آمر؛ إذن كل شيء يفعله لا يكون ظلماً.

ويقولون: الظلم تصرف المالك في غير ملكه، وهل هناك شيء خارج عن ملك الله؟!، إذن قالوا: لو فعل الله كل شيء لما صار ظلماً.

ويقولون: يجوز على الله عقلاً أن يحرم التوحيد، ويوجب الشرك، ولا يكون ذلك ظلماً ـ والعياذ بالله ـ.

ويقولون: يجوز على الله عقلاً أن يقلب التشريعات والجزاءات،

(١) انظر: المحيط في اللغة (٢/ ٣٩٠)، ولسان العرب (١٢/ ٣٧٣)، والقاموس المحيط (١/ ١١٣٤).

فيجعل العفة محرمة والزنا واجباً.

ويقولون: يجوز على الله عقلاً أن يبطل حسنات الأبرار والأنبياء، ويُحمّلَهم أوزار الفجار، ولا يكون هذا ظلماً؛ **لأنه تصرف في ملكه.**

- **الجواب عن أقوالهم:**

الظلم كما سبق هو: «**وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ**»، وهو مقدور لله، فالله يقدر على الظلم لكنه حرمه على نفسه وتنزه عنه، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٧].

وجه الاستدلال من الآيتين: وهل يُؤمَّن الإنسان من الخوف إذا كان الظلم غير مقدور لله - كما يقول الجبرية -؟!

والقدرية حين فهموا الظلم فهماً فاسداً، قالوا: إن العباد خالقون لأفعالهم فراراً من وصف الله بالظلم.

- والله حين قدر المعاصي، قدَّرها لحِكَم وأسرار.

- **والذي يضاف إلى الله في خلق المعاصي هو:** الخلق والإيجاد، والخلق والإيجاد مبنيان على الحكمة، فتكون خيرًا.

- **والذي يضاف إلى العبد هو:** السبب والمباشرة.

فالمعاصي والكفر شر بالنسبة للإنسان؛ لأنه هو الذي كسبها

(١) أخرجه مسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، رقم: (٢٥٧٧).

وعملها، فساءته وضرّته، وعُذّب عليها.

ـ **ولهذا لا يوجد شر محض**؛ بل كل الشرور نسبية بالنسبة للخلق، أما بالنسبة لله فإنها خير؛ لأنها مبنية على الحكمة، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»(١) يعني: الشر المحض الذي لا حكمة في إيجاده وتقديره لا يوجد، فليس هناك شر محض؛ بل كل الشرور الموجودة نسبية.

إذن الشرور الموجودة لها حكمة، فلا تكون شراً محضاً، لكن شرورها نسبية، لا شرورا خالصة.

مسألة: الشرور الموجودة من المعاصي والكفر هل هي شرٌ محض أم شرٌ نسبي؟

الجواب: هي شرٌ نسبي، أي: بالنسبة إلى العبد الذي فعلها وباشرها وكسبها؛ فهي شرٌ عليه.

مسألة: بالنسبة للخالق ـ سبحانه ـ الذي يضاف إليه ما هو؟

الجواب: هو الخلق؛ فالخلق مبني على الحكمة؛ فإن وجود الكفر يترتب عليه وجود عبوديات متنوعة.

والمشركون يحتجون بالقدر على شركهم، قال الله تعالى عن المشركين أنهم قالوا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ١٤٨] وهذا باطل.

والقدرية يُسمَّون مجوس هذه الأمة، وسُموا بذلك: لأنهم شاركوا المجوس في القول بتعدد الخالق، وذلك أن المجوس يقولون بوجود إلهين، أحدهما: خالق للخير، والآخر: خالق للشر، فقالوا بتعدد الخالق.

وكذلك القدرية يقولون بتعدد الخالق فيقولون: كل شخص يخلق

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، رقم: (٧٧١).

فعل نفسه.

بل إن القدرية زادوا على المجوس؛ فالمجوس قالوا بوجود خالقَيْن، والقدرية قالوا بوجود خالِقِيْن.

۞ القدرية باعتبار الإيمان بالشرع والقدر ثلاث طوائف[١]:

الطائفة الأولى: القدرية المجوسية، وهم الذين يقولون إن العباد خالقون لأفعالهم، سُمُّوا مجوسية؛ لأنهم شاركوا المجوس في القول بتعدد الخالق.

الطائفة الثانية: القدرية المشركية، وهم الذين يحتجون بالقدر على الشرك، وهم الجبرية. شاركوا المشركين في أن العبد مجبور على أفعاله، قَدَّرَ الله عليه الخير والشر ولا اختيار له. فيقولون ـ عن العبد ـ: مقدر عليه الخير والشر، فهو مجبور.

ويقولون: العبد مجبور، فأفعاله كحركات المرتعش، وكنبض العروق.

ويقولون إن الإنسان لا حراك له، ولا اختيار له، ومثل الله حينما يأمر العبد بالطاعات وقد قدر عليه المعاصي، مثل من يأتي بإنسان ويربط يديه ورجليه، ثم يلقيه في البحر ويقول: لا يأتك الماء! كما قال قائلهم:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء[٢]

وقالوا: إن العباد وعاءٌ للقدر، يمر عليهم القدر وليس لهم اختيار، كالكوب الذي يصب فيه الماء. فيقولون: العباد كالكوب، والله كصاب الماء فيه.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٨/ ٢٥٦).
(٢) انظر: شفاء العليل (١/ ٤).

وقالوا أيضاً: إن العبد لما كان مجبوراً على أفعاله، فإن أفعاله كلها طاعات.

ويقول أحدهم: أنا إن عصيت أمره الديني الشرعي فقد وافقت أمره الكوني القدري.

ويقولون: إن العبد جميع أفعاله كلها طاعات، من المعاصي والكفر وغيرها.

ويقول قائلهم:

أَصْبَحْتُ مُنْفَعِلًا لِمَا تَخْتَارُهُ مِنِّي، فَفِعْلِي كُلُّهُ طَاعَاتُ![1]

هؤلاء نظروا إلى القدر وأعرضوا عن الشرع، وسموا مشركية؛ لأنهم يشابهون المشركين الذي يحتجون بالقدر، الذي قالوا: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

الطائفة الثالثة: القدرية الإبليسية، سُمُّوا إبليسية نسبة إلى إبليس؛ لأنه رئيسهم وشيخهم، الذي رفض أمر الله، وقابله بالإباء والاستكبار، لما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، سجدوا إلا إبليس، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٣٤].

فإبليس عارض أمر الله، وقابله بالرفض والإباء والاستكبار، فهو لم ينكر أمر الله؛ لكنه قابله بالرفض، فاستكبر عن عبادة الله؛ فطرده الله ولعنه، وصار شيطاناً رجيما.

هؤلاء الإبليسية يدافعون عن إبليس ـ والعياذ بالله ـ، ويقولون عن إبليس: مسكين مظلوم، أراد أن ينزه جبهته عن السجود لغير الله، فطرد ولعن. ما ذنبه؟!

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٣٣٥)، والمنتقى من منهاج الاعتدال (١/ ١٢٣).

هؤلاء ـ والعياذ بالله ـ خصماء الله، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (خُصَمَاءُ اللَّهِ الْقَدَرِيَّةُ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ)[(١)].

فوصلوا إلى هذا الحد أنهم يدافعون عن إبليس والعياذ بالله، ولهذا سموا إبليسية، حتى قال قائلهم:

وَكنت فَتى من جند إِبْلِيس فارتقت بى الْحَال حَتَّى صَار إِبْلِيس من جندى[(٢)]

أي: أنه جاوز وفاق إبليس في المكر والخديعة، فكان بالأول من جند إبليس، فتطور حتى صار أعلى من إبليس، وإبليس من جنده.

فالإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، فمن لم يؤمن به فهو كافر بإجماع المسلمين، فلابد من الإيمان بالقدر خيره وشره، بمراتبه الأربع:

العلم، والكتابة، والإرادة، والمشيئة، والخلق والإيجاد.

(١) انظر: منهاج السنة (٣/ ٨١).

(٢) البيت منسوب لأبي نواس، انظر: مفتاح العلوم (١/ ١٩١)، وثمار القلوب (١/ ٦٩).

[٥] وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه السلام: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ.

[٦] وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

الشَّرْح

[٥،٦] هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة والخلفاء الراشدين، فأهل السنة والجماعة يعتقدون فضل الصحابة، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، فلولا أنهم أفضل الناس لما اختارهم لصحبة نبيه، فالله لم يكن ليختار لصحبة نبيه إلا أفضل الناس.

ولذلك يجب على كل مسلم أن يعرف فضلهم، ومكانتهم، ومنزلتهم عند الله ﷻ، ويترحم عليهم.

- فهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ.
- وهم الذين سمعوا القرآن، وشاهدوا التنزيل.
- وسألوا رسول الله ﷺ، وسمعوا كلامه وعرفوا مقصوده.
- وهم الذين نشروا دين الله في مشارق الأرض ومغاربها.
- وهم الذين نقلوا لنا الكتاب والسنة.
- وهم الذين آزروا رسول الله ﷺ وآمنوا به، وواسوه بأنفسهم وأموالهم.
- وهم الذين جاهدوا في سبيل الله؛ فهم أفضل الناس، لا كان ولا يكون مثلهم.

فالواجب على المسلم أن يترحم عليهم، ويترضى عنهم، ويعتقد فضلهم ومنزلتهم، **والكف عما شجر بينهم من الخلاف والنزاع**، وأنَّ ما حصل بينهم من الحروب كالقتال بين علي ﷺ ومعاوية ﷺ، فهو صادر عن اجتهاد وتأويل، وليس عن هوى، **وما صدر عن اجتهاد وتأويل، فصاحبه بين أمرين**:

١ ـ إما أن يكون مصيباً فله أجران؛ أجر الإصابة وأجر الاجتهاد.

٢ ـ وإما أن يكون مخطأ، فله أجر الاجتهاد، ويفوته أجر الصواب.

إذا تقرر هذا فإن علي بن أبي طالب ﷺ بايعه أكثر أهل الحل والعقد بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان ﷺ، فتمت له البيعة.

وامتنع معاوية ﷺ وأهل الشام عن اجتهاد وتأويل، يطالبون بدم عثمان ﷺ، وهو لا يمانع في بيعة علي ﷺ، لكنه **يريد أولاً أخذ قتلة عثمان** ﷺ:

١ ـ لأنه أقرب الناس إليه.

٢ ـ لأنه يخشى طغيان هؤلاء الذين قتلوا أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ، فيتجاوز شرهم إلى غيرهم.

وعلي ﷺ لا يمانع من أخذ قتلة عثمان ﷺ، ولكنه لا يستطيع في الوقت الحاضر أخذهم، وقد قال لمعاوية ﷺ: انتظر، لا نستطيع الآن أخذهم، لأنا لا نعرفهم بأعيانهم؛ وذلك أنهم اندسوا بين صفوف الجيش، فلا يثبت على أحد منهم بعينه أنه من القتلة، وهناك من تنتصر له قبيلته؛ فيحصل بذلك فساد عظيم، فلهذا **رأى علي** ﷺ **أن يؤجل ذلك حتى**:

١ ـ يتبين الأمر.

٢ ـ تهدأ الأحوال.

٣ ـ حتى يؤخذ القتلة على بصيرة.

لكن معاوية رضي الله عنه وأهل الشام لم يقتنعوا، وأرادوا أخذهم قبل أي شيء؛ فحصل خلاف في الرأي، فرأى علي رضي الله عنه أنه يجب إخضاع معاوية رضي الله عنه للبيعة؛ لأنه هو الخليفة الراشد الذي تمت له البيعة.

ولما رأى معاوية رضي الله عنه أنهم يريدون القتال؛ أراد القتال أيضا.

وجماهير الصحابة رضي الله عنهم:

١ ـ رأوا أن الحق مع علي رضي الله عنه.

٢ ـ رأوا أن معاوية رضي الله عنه وأهل الشام بغاة، والباغي يجب قتاله، فانضموا إلى علي رضي الله عنه بقول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحُجرَات: ٩].

فأهل الشام مع معاوية رضي الله عنه بغاة، ويدل لذلك:

١ ـ حديث عمار رضي الله عنه الذي يقول فيه النبي ﷺ: «**وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**»(١). فقتله أهل الشام.

٢ ـ وقال ﷺ: «**تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ**»(٢).

فخرجت الخوارج فقتلهم علي رضي الله عنه، فدل على أنه أولى بالحق من معاوية.

ـ وأهل الشام لا يعلمون أنهم بغاة، وهم مجتهدون فاتهم أجر الصواب، وحصلوا على أجر الاجتهاد.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ، رقم: (٤٤٧)، واللفظ له، ومسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم: (٢٩١٥).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠٦٤).

ـ وهناك طائفة من الصحابة لم يتبين لهم الأمر؛ فاعتزلوا الفريقين: كابن عمر، وسلمة بن الأكوع، وأسامة بن زيد، وأبي بكرة نفيع بن الحارث، وقد ذهب سلمة بن الأكوع إلى البادية وتزوج، وقال إن النبي ﷺ أذن لي في البدو[(١)]؛ وغيرهم من الصحابة.

وعملوا بالأحاديث التي فيها النهي عن القتال في الفتنة، مثل:

١ ـ ما جاء في المسند أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللهِ الْمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ**»[(٢)].

٢ ـ ما ثبت في الصحيحين أنه ﷺ قال: «**سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، وَالقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، وَالمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَمَنْ يُشْرِفْ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ**»[(٣)]، فظنوا أن القتال بين علي رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه تشمله هذه الأحاديث، فلهذا اعتزلوا الفريقين وأرجؤوا أمرهما إلى الله، ولم يتبين لهم وجه الصواب، **والصواب مع علي** رضي الله عنه **ومن معه**، ولهذا جمهور الصحابة انضم مع علي رضي الله عنه، عملاً بالآية، والآية صريحة في هذا؛ وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحجرات: ٩]. فقتال الصحابة قتال عن اجتهاد وتأويل.

وقتال الصحابة هذا لا يدخل في النصوص الواردة في النهي عن

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ التَّعَرُّبِ فِي الفِتْنَةِ، رقم: (٧٠٨٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٦٢).

(٢) أخرجه أحمد في المسند، رقم: (٢٢٤٩٩).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم: (٣٦٠١)، ومسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم: (٢٨٨٦)

القتال كحديث: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[(١)]، وحديث: «**الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»[(٢)]؛ لأن القتال المقصود به في هذه الأحاديث هو القتال عن بغي وهوى، أو القتال عن عصبية أو دنيا، أما قتال الصحابة فهو عن اجتهاد سائغ.

۞ نوع الأخبار المروية عن الصحابة فيما شجر بينهم:

وما يروى من الأخبار التي تروى عن الصحابة، فهي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: (إِنَّ هَذِهِ الْآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ:

مِنْهَا: مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمِنْهَا: مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ، وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ.

وَالصَّحِيحُ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ:

- إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ.
- وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ)[(٣)].

فهذه أقسام الأخبار عن الصحابة، ثلاثة أقسام:

١ - قسم كذب لا أساس له من الصحة.

٢ - قسم له أصل، لكن زيد فيه ونقص، وغير عن وجهه.

٣ - قسم صحيح، وهذا الصحيح هم فيه ما بين مجتهد مصيب له أجران، ومجتهد مخطئ له أجر.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الإِنْصَاتِ لِلْعُلَمَاءِ، رقم: (١٢١)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٦٥).
(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْقَسَامَةِ وَالْمُحَارِبِينَ وَالْقِصَاصِ وَالدِّيَاتِ، رقم: (١٦٨٠).
(٣) انظر: العقيدة الواسطية (١/ ١٢٠).

الخلاصة:

الواجب على المسلم:

١ ـ أن يترضى على الصحابة.

٢ ـ أن يواليهم.

٣ ـ أن يترحم عليهم.

٤ ـ أن يعتقد فضلهم وسابقتهم.

٥ ـ أن يعتقد أنهم خير الناس وأفضلهم، لا كان ولا يكون مثلهم، وأن الله اختارهم لصحبة نبيه ﷺ، ولحمل شريعته، فهم الذين نقلوا لنا الدين.

٦ ـ الكف عما شجر بينهم، وعدم الخوض فيما جرى بينهم من الخلاف والقتال.

٧ ـ اعتقاد أن ما صدر منهم من القتال، والخلاف كان على اجتهاد سائغ.

[٧] وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول ﷺ وقوله الحق:

الشَّرْح

[٧] خير الصحابة وأفضلهم العشرة المبشرون بالجنة، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهم.

هؤلاء هم العشرة المبشرون بالجنة بقول النبي ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدٌ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيدٌ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»(١).

فهؤلاء شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، وشهد لجماعة آخرين بالجنة أيضا، منهم:

- الحسن والحسين، فقال ﷺ: «**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ،بَابُ مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه، رقم: (٣٧٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنَاقِبِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنهما، رقم: (٣٧٦٨)، وابن ماجة: المقدمة، فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، رقم: (١١٨).

ـ ثابت بن قيس ﷺ، فعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحُجرَات: ٢] الآية. جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ، وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عَمْرٍو، مَا شَأْنُ ثَابِتٍ؟ اشْتَكَى؟**» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(١).

ـ وكذلك عكاشة بن محصن ﷺ، فهو من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب(٢).

ـ وكذلك ابن عمر ﷺ، وعبدالله بن سلام الإسرائيلي ﷺ، وجماعة.

مسألة: من الذي يشهد له بالجنة؟

الجواب: عقيدة أهل السنة والجماعة أنه لا يشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص؛ كالعشرة المبشرين وغيرهم ممن شهد لهم النبي ﷺ، وأما من عداهم فإنه يشهد لهم بالجنة على العموم، فنقول: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار.

فيشهد بالجنة لكل مؤمن من أهل القبلة، ولا يشهد للواحد بعينه: فلان بن فلان أنه من أهل الجنة؛ إلا لمن شهدت لهم النصوص، وهذا

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم: (٣٦١٣)، ومسلم واللفظ له: كِتَابُ الْإِيمَانَ،رقم: (١١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الطِّبِّ،بَابُ مَنْ لَمْ يَرْقِ، رقم: (٥٧٥٢)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢٢٠).

القول الأول في المسألة، **ولهم أدلة في هذا، منها:**

١ ـ ما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «**وَجَبَتْ**» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «**هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ**»[(١)].

٢ ـ ما جاء عند ابن ماجه والحاكم أنه ﷺ قال: «**يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ**»، قَالُوا: بِمَ ذَاكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: **بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ**»[(٢)].

القول الثاني: أَنْ لَا يُشْهَدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا يُنْقَلُ عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ، وَالْأَوْزَاعِي.

القول الثالث: من العلماء من استدل بالأحاديث السابقة على أنه يشهد بالجنة لمن شهد له عدلان من أهل الخير والصلاح، وليس لكل أحد، ولهذا كان أبو ثور يشهد للإمام أحمد أنه من أهل الجنة.

والصواب: أنه لا يشهد لأحد بالجنة إلا لمن شهدت لهم النصوص، وما عداهم فإنه يشهد لهم بالجنة على وجه العموم، فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار.

ولكن يرجى للمؤمن المستقيم على شرع الله ودينه: الجنة ولا يجزم له بها، والذي يظهر المعاصي من أهل القبلة يخشى عليه من النار، ولا يشهد عليه بعينه بأنه من أهل النار.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ،بَابُ ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَى المَيِّتِ،رقم: (١٣٦٧)، ومسلم: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، رقم: (٩٤٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كِتَابُ الزُّهْدِ،بَابُ الثَّنَاءِ الْحَسَنِ،رقم: (٤٢٢١)،وقال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، ووافقه الذهبي.

فأهل القبلة الذين يصلون إلى القبلة ويلتزمون بأحكام الإسلام ظاهراً، هؤلاء لا يشهد للواحد منهم بالجنة ولا يشهد عليه بالنار، ولكن يشهد بالعموم: فيقال: كل مؤمن في الجنة، وكل كافر في النار.

والمحسن يرجى له الجنة، والمسيء يخاف عليه من النار؛ ولا يجزم للأول بأنه من أهل الجنة، ولا يجزم للثاني بأنه من أهل النار؛ هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

ـ أما الكافر الذي علم أنه مات على الكفر وليس له شبهة، فإنه يشهد عليه بأنه كافر، والكافر من أهل النار.

ـ وأفضل الصحابة كما ذكر المؤلف هم العشرة المبشرون بالجنة، وأفضلهم الخلفاء الراشدون، وهم خير الناس؛ ـ كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: **(وخير الصحابة أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب)**.

ـ وترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة، هذا هو المعتمد عند أهل السنة والجماعة.

وروي عن الإمام أبي حنيفة: الخلاف في الفضيلة بين علي وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فجاء عنه في رواية: «**تَقْدِيمُ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ**»[(١)]، وأما في الخلافة فلا ينازع في تقديم عثمان فيها على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

وروي عنه: أنه رجع عن هذا القول، ووافق جمهور أهل السنة في تقديم عثمان على علي في الفضيلة؛ كتقديمه عليه في الخلافة[(٢)].

ـ وأما من اعتقد أن علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أولى بالخلافة من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو كما قال الإمام أحمد: (مَنْ لَمْ يُرَبِّعْ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْخِلَافَةِ فَهُوَ أَضَلُّ

(١) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٧٢٧).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤/ ٤٢٦).

مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ)[١].

وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: «**مَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَزْرَى بِالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَأَخْشَى أَنْ لَا يَنْفَعَهُ مَعَ ذَلِكَ عَمَلٌ**»[٢].

يعني: احتقر رأيهم؛ لأنهم أجمعوا على تقديم عثمان رضي الله عنه، ولما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الأمر شورى بين الستة، فتشاوروا ليالي، ورأوا وجوه الناس إلى عثمان رضي الله عنه، فبايعه عبدالرحمن رضي الله عنه وبايعه أهل الدار، ثم بايعه المهاجرون والأنصار جميعا، وأجمعوا على تقديم عثمان على علي؛ فمن قدم علياً على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين؛ أي: احتقر رأيهم رضي الله عنهم.

وأما من قدمه في الفضيلة دون الخلافة فالأمر فيه أسهل.

- ويليهم في الفضيلة أهل بدر، فقد قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٣].

- ثم أهل بيعة الرضوان، وهم أصحاب الشجرة، الذي بايعوا النبي ﷺ عام ست من الهجرة تحت الشجرة في الحديبية، قال الله في حقهم: ﴿۞لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨].

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[٤].

---

(١) انظر: منهاج السنة (١/ ٥٣٧)، وطبقات الحنابلة (١/ ٤٥).

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (١/ ٢٢٩)، والسنة للخلال (٢/ ٣٧٤).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الجَاسُوسِ، رقم: (٣٠٠٧)، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، رقم: (٢٤٩٤).

(٤) أخرجه أبو داود: كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْخُلَفَاءِ، رقم: (٤٦٥٣)، =

- ومن العلماء من قدم أهل بيعة الرضوان على أهل بدر.

فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم هم أفضل الناس وخيرهم بعد الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم.

= والترمذي : أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ،بَابٌ فِي فَضْلِ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، رقم: (٣٨٦٠)، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

[٨] والترحم على جميع أصحاب محمد وعلى آله، والكف عما شجر بينهم:

الشَّرح

[٨] آل النبي ﷺ هم أهل بيته: عمه العباس بن عبدالمطلب، وحمزة بن عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة، والحسن، والحسين؛ وزوجات النبي ﷺ من آله.

الواجب الترضي عن آله ﷺ والترحم عليهم وموالاتهم، ومحبتهم لله ﷻ، ولقرابتهم من النبي ﷺ.

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت.

۞ أما أهل البدع فإن موقفهم من الصحابة على طرفي نقيض:

الطائفة الأولى: الرافضة الذين أبغضوا الصحابة وقتلوهم وسبوهم؛ بل وكفروهم ـ والعياذ بالله ـ.

ـ من عقائد الرافضة الفاسدة:

١ ـ يعتقدون كفر الصحابة وأنهم ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، ولم يبق منهم على الإسلام إلا أفرادٌ يعدون على الأصابع.

وتكفير الصحابة تكذيب لله ﷻ، فالله ﷻ قد زكاهم وعدلهم، ووعدهم بالجنة:

أـ قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد: ١٠].

والحسنى: الجنة، فكلهم موعودون بالجنة.

ب ـ وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

ج ـ وقال في آخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

فالله زكاهم وعدلهم ووعدهم بالجنة؛ فمن كفرهم فقد كذب الله، ومن كذب الله كفر.

٢ ـ ويعتقدون أن الخلافة ليست لأبي بكر ولا لعمر، ولا لعثمان، وأن خلافتهم باطلة، وأن الخليفة بعد النبي ﷺ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأن الصحابة أخفوا النصوص التي فيها أن علياً هو الخليفة الأول.

٣ ـ ويعتقدون أن النبي ﷺ نص على اثني عشر إماما من آل البيت، وأن النبي ﷺ نص على أئمة منصوصين معصومين؛ لئلا يخلي الله العالم من لطفه ورحمته، فهم أئمة منصوصون، أي منصوص عليهم، ولهم العصمة أيضا.

وليس هناك أحد من البشر معصوم غير الأنبياء، فإنهم معصومون عن الشرك والكبائر وفيما يبلغون عن الله، فيعتقدون أن النبي ﷺ نص على أن الخليفة بعده هو علي بن أبي طالب، ثم نص على أن يكون الخليفة من بعده الحسن بن علي، ثم الحسين بن علي؛ ثم البقية كلهم من نسل الحسين، وأولهم علي بن الحسين زين العابدين، ثم محمد بن علي الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم،

ثم علي بن موسى الرضا، ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد الهادي، ثم الحسن، ثم الخلف الحجة المهدي المنتظر محمد ابن الحسن الذي دخل سرداب سامراء سنة (٢٦٠)، ولم يخرج إلى الآن، ويقولون هذا هو المهدي المنتظر.

فمضى عليه مدة طويلة ولم يخرج، يقول شيخ الإسلام ـ في زمانه ـ إنه مضى عليه (٤٠٠) سنة ولم يخرج، ونحن نقول: إنه مضى عليه الآن (١٢٠٠) سنة ولم يخرج!

ويقولون: الأمة موقوف أمرها ومُرْجَأ حتى يخرج المهدي.

ويقولون: إنه دخل السرداب وهو ابن خمس سنين، ومنهم من يقول: وهو ابن ثلاث سنين، ولم يخرج حتى الآن[(١)].

كيف يعيش طفل دخل السرداب هذه المدة الطويلة، أين العقول؟! وكيف يؤخر أمر الأمة، ولا يكون أحد سعيدا إلا بمتابعة هذا الشخص الموهوم.

ومن العجيب أنهم يقولون إن محمد بن الحسن هذا الذي دخل السرداب أبوه مات عقيما، ولم يولد له.

فاختلقوا له ولدا وادخلوه السرداب؛ فهو خرافة ووهم لا أساس له من الصحة.

ولو قدّر أنه دخل السرداب فهل يعيش هذه المدة!

وكيف يرجأ أمر الأمة حتى يخرج هذا الرجل!

المرأة إذا غاب زوجها غيبة طويلة فإنه ترفع أمرها إلى الحاكم، فيفسخ نكاحها من زوجها حتى لا تتضرر، والأمة كلها عندهم موقوفة،

(١) للمزيد في هذه المسألة انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٧٢-٧٤)، والبداية والنهاية (١٦/ ٧٤٣).

ولا تعرف طريق السعادة حتى يخرج المهدي؛ نسأل الله السلامة والعافية.

وإذا كان الأمر كما يقولون أن الناس أشقياء حتى يخرج المهدي، فأول الأشقياء هم الرافضة.

٤ ـ وكذلك يعتقدون أيضاً أن القرآن غير محفوظ، وأنه لم يبق من إلا الثلث، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩].

٥ ـ وكذلك يعبدون آل البيت ويتوسلون بهم وبالأئمة واحداً بعد واحد.

٦ ـ ويعتقدون أن الأئمة لهم تصرفٌ في الكون، ويدبرون أمره مع الله ﷻ، وهذا شرك في الربوبية.

الطائفة الثانية: النواصب، وهم الخوارج، سُمُّوا بالناصبة؛ لأنهم نصبوا العداوة لأهل البيت وآذوهم.

وأما الصحابة فإن من يخالفهم فإنهم يكفرونه، ومن لا يخالفهم فلا يكفرونه.

فالخوارج مبتدعةٌ ضلال كما سيبين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فهم على طرفي نقيض مع الرافضة.

فالرافضة غلوا في أهل البيت وعبدوهم من دون الله.

والخوارج والنواصب نصبوا العداوة لأهل البيت وآذوهم وتنقصوهم، واحتقروهم وازدروهم.

ووفق الله أهل السنة إلى الحق، فوالوا الصحابة وآل البيت وترحموا عليهم، وأنزلوهم منازلهم التي انزلهما لهم تعالى بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

فالصحابة يجب الترحم عليهم وموالاتهم، فإن الله سبحانه وتعالى بين في كتابه أن المؤمنين التابعين للصحابة بإحسان؛ يسألون المغفرة لهم، ويقولون: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وقال أبو زرعة: «**إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ**»[(١)].

يعني: أن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشريعة، وهم الذين حملوا إلينا الكتب والسنة، فإذا كانوا كفارا؛ فكيف يوثق بدين حمله إلينا الكفار!

فالطعن فيهم طعن في دين الله، وذلك أنك إذا طعنت في الشخص الذي ينقل؛ تكون قد طعنت في ما نقله؛ فالطعن في الناقل طعن في المنقول ـ والعياذ بالله ـ.

وَالزِّنْدِيقُ هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَيَسْتَسِرُّ بِالْكُفْرِ، **وَهُوَ الْمُنَافِقُ،** كَانَ يُسَمَّى فِي عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقًا، **وَيُسَمَّى الْيَوْمَ علمانيا**[(٢)].

(١) أخرجه الخطيب في الكفاية (١/ ٤٩).
(٢) انظر: المغني لابن قدامة (٦/ ٣٧٠).

[٩] وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه على لسان رسوله، بلا كيف:

الشَّرْح

[٩] هذا هو المبحث الخامس من مباحث هذا الاعتقاد، وهو مبحث علو الله ﷻ وبينونته من خلقه.

أما مباينة الله لخلقه، وعلوه على خلقه، واستوائه على عرشه؛ فهذا دلت عليه النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: (وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه على لسان رسوله، بلا كيف).

ومعنى: (بائن من خلقه) أي: منفصل، ليس بمختلط بالمخلوقات، فالله تعالى فوق العرش بعد أن تنتهي المخلوقات، والعرش هو سقف المخلوقات، فهو منفصل عن خلقه، لم يدخل في ذاته شيء من خلقه، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ومن الأدلة على ذلك:

الدليل الأول: كما وصف الله نفسه بالعلو، وأدلة العلو كثير جدا، **تزيد أفرادها على ثلاثة آلاف دليل**، كلها تدل على أن الله فوق المخلوقات.

الدليل الثاني: التصريح بأنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه بأداة (على) التي تدل على العلو:

الموضع الأول: في سورة الأعراف، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ

يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الموضع الثاني: في سورة يونس، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يُونس: ٣].

الموضع الثالث: في سورة الرعد، وهو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرّعد: ٢].

الموضع الرابع: في سورة طه، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طٰه: ٥].

الموضع الخامس: في سورة الفرقان، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفُرقان: ٥٩].

الموضع السادس: في سورة السجدة، وهو قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السَّجدَة: ٤].

الموضع السابع: في سورة الحديد، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحَديد: ٤].

الدليل الثالث: النصوص التي فيها ذكر العلو، كقوله تعالى: ﴿۞ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

الدليل الرابع: النصوص التي فيها العروج، والعروج يكون من أسفل إلى أعلى؛ كقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعَارج: ٤].

الدليل الخامس: النصوص التي فيها الصعود؛ والصعود يكون من أسفل إلى أعلى، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فَاطِر: ١٠].

الدليل السادس: النصوص التي فيها الرفع؛ والرفع يكون من أسفل إلى أعلى كقوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النِّسَاء: ١٥٨].

وقوله: ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾ [مَريَم: ٥٧].

الدليل السابع: النصوص التي فيها أن الله في السماء، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [المُلك: ١٦].

الدليل الثامن: وقول النبي ﷺ للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ[1].

كل هذه النصوص قواعد يدخل تحتها أفراد، وأفراد أدلة العلو تزيد على ثلاثة آلاف دليل، كما قال ابن القيم، وغيره من أهل العلم.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٥٣٧).

[١٠] أحاط بكل شيء علما؛ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير:

الشَّرْح

[١٠] فالله ﷻ فوق المخلوقات، استوى على العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، وهو قد أحاط بكل شيء علما؛ فعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه شيء من أحوال عباده، ولا يشبه أحداً من خلقه، كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١].

أما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فإنهم أنكروا علو الله على خلقه، ونفوا نصوص العلو وأبطلوها.

فالجهمية أتباع جهم بن صفوان[(١)]؛ أنكروا الأسماء والصفات جميعا.

والمعتزلة أتباع واصل بن عطاء[(٢)] وعمرو بن عبيد[(٣)]؛ أنكروا الصفات وأثبتوا الأسماء.

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) "واصل" بن عطاء البصري الغزال المتكلم البليغ المتشدق الذي كان يلثغ بالراء نقل عنه أنه هجر الراء وتجنبها في خطابه، وهو من رؤوس المعتزلة بل معلمهم الأول، والخوارج لما كفرت بالكبائر، قال واصل: بل الفاسق لا مؤمن ولا كافر بل هُوَ منزلة بين المنزلتين، فطرده لذلك الْحَسَن، فمن ثَمَّ قيل لهم المعتزلة لذلك،انظر: لسان الميزان (٦/ ٢١٤)، وتاريخ الإسلام (٣/ ٧٤٩).

(٣) عمرو بن عبيد مولى لبني تميم. ويكنى أبا عثمان. معتزلي صاحب رأي ليس بشيء في الحديث. وكان كثير الحديث عن الحسن وغيره. وكان له سمت، وإظهار زهد، وتوفي سنة أربع وأربعين ومائة، انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٠١)، وتاريخ الإسلام (١٤/ ٦٣).

والأشاعرة أثبتوا الأسماء وسبع صفات فقط، وهي: الحياة والكلام، والبصر والسمع، والإرادة والعلم والقدرة؛ فليس منها العلو.

والجهمية الذين أنكروا علو الله على خلقه طائفتان:

الطائفة الأولى: الذين أنكروا علو الله على خلقه، وقالوا إن الله مختلط بالمخلوقات؛ وأنه في كل مكان، حتى قالوا إنه لا يخلو منه مكان، في بطون السباع، وأجواف الطيور ـ والعياذ بالله ـ.

واستدلوا بنصوص المعية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المجادلة: ٧].

قالوا: إن هذه النصوص تدل على أن الله مختلط بالمخلوقات.

والتحقيق أنهم ضربوا النصوص بعضها ببعض، فأبطلوا نصوص العلو والفوقية بنصوص المعية.

وهدى الله أهل الحق ـ أهل السنة والجماعة ـ إلى الجمع بين النصوص، فعملوا بالنصوص من الجانبين. **أجاب أهل السنة عن شبهتهم** بأن هؤلاء المبتدعة أهل زيغ وضلال لم يفهموا معنى المعية، فالمعية لا تفيد الاختلاط، فكلمة (مع) في اللغة العربية لا تدل على الاختلاط، وإنما تقتضي مطلق المصاحبة، والمقارنة في أمر من الأمور، ومن ذلك:

١ ـ أن العرب تقول: ما زلنا نسير والقمر معنا، وتقول: ما زلنا نسير والنجم معنا؛ أي مصاحباً لنا. فالقمر والنجم في السماء، ولا يلزم من ذلك الاختلاط.

٢ ـ ويقال: فلان زوجته معه، وهي في المشرق وهو في المغرب، والمعنى: أنها في عصمته.

٣ ـ وتقول: المتاع معي، وإن كان فوق رأسك.

٤ ـ وقد يطلع الأب من السطح على ابنه الصغير وهو يبكي، ويقول له: لا تبك أنا معك؛ فيسكت الطفل وأبوه في الدور الثاني وهو في الأرض.

فالمعية في لغة العرب لمطلق المصاحبة، ولا تفيد الاختلاط ولا الامتزاج ولا المحاذاة عن اليمين أو الشمال، فالمبتدعة ضربوا النصوص بعضها ببعض، وأهل السنة جمعوا بين النصوص وعملوا بها من الجانبين؛ **فقالوا**:

الله فوق العرش بذاته، وعلمه في كل مكان، ولا يكون هذا تأويلاً، فالمعية هنا معية علم وإحاطة؛ لأن الله افتتح آية المجادلة بالعلم وختمها بالعلم، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة: ٧].

فافتتحها بالعلم وختمها بالعلم، فدل على أن المعية معية علم وإحاطة واطلاع، فالله فوق العرش بذاته، وهو مع الخلق بعلمه وإحاطته واطلاعه ونفوذ قدرته ومشيئته.

الطائفة الثانية: الذين نفوا العلو والاستواء؛ بل إنهم سلبوا النقيضين، أو سلبوا الوصفين المتقابلين اللذين لا بد لكل موجود منهما: فيقولون إن الله ليس فوق العرش ولا تحت الأرض.

بل إنهم يقولون: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا تحته ولا

فوقه، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه.

فنقول لهم: أين يكون مَنْ هذه حاله؟!

بل إنه لو طلب منك أن تصف المعدوم لما استطعت أن تصفه بأشد من هذا الوصف ـ والعياذ بالله ـ.

ـ وهؤلاء أشد كفراً من الطائفة الأولى، والجهمية كفار، قد كَفَّرهم خمسمائة عالم، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: في الكافية الشافية فقال[1]:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَانِ
واللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ قَد حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

قال الإمام الجواد المجاهد الثقة: عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «**إِنَّا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّة**» يعني: أننا نستطيع أن نحكي أقوال اليهود والنصارى مع كفرَهم وضلالهم، ولا نحكي أقوال الجهمية لشرها وخبثها.

فكَفَّرهم العلماء على سبيل العموم، أما الحكم على الواحد بعينه، فهذا لا بد فيه من إقامة الحجة عليه.

ومن العلماء من كفرهم بإطلاق.

ومنهم من قال: إنهم مبتدعة.

ومنهم من كفر غلاتهم.

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١١١).

[١١] والله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة، ويراه أهل الجنة بأبصارهم:

[١٢] ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء:

الشَّرح

[١١] هذا مبحث الرؤية ومبحث الكلام، وقد سبق الحديث عن مبحث الكلام عند قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (والقرآن كلام الله).

- رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، جاءت بها النصوص من كتاب الله تعالى ومن سنة نبيه ﷺ، وأثبتها أهل السنة والجماعة، وأن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم في الآخرة.

- وإثبات رؤية الله يوم القيامة من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة والجماعة وبين أهل البدع، وكذلك صفة الكلام، وصفة العلو والاستواء على العرش، فهذه الصفات الثلاث من العلامات الفارقة بين أهل السنة وأهل البدعة؛ فمن أثبتها فهو من أهل السنة، ومن أنكرها فهو من أهل البدعة، فمن أثبت استواء الله على عرشه، وعلوه على خلقه؛ وأثبت أن كلام الله لفظ ومعنى، حرف وصوت؛ وأثبت رؤية الله في الآخرة، فهو من أهل السنة.

فالمؤمنون يعتقدون أن الله يرى في الآخرة، وأن المؤمنين يرونه بأبصارهم عياناً، كما دلت على ذلك النصوص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، **فمن الكتاب:**

١ - قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القِيَامَة: ٢٢-٢٣].

فأضاف النظر إلى الوجوه، وعداه بأداة ﴿إِلَىٰ﴾ الدالة على النظر بالعين التي في الوجه إلى الرب سبحانه، وأخلى الكلام من قرينة تدل على خلاف موضوعه وحقيقته؛ فدل على أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم عياناً.

٢ ـ وقال سبحانه: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [قٓ: ٣٥].

جاء في تفسير الآية أن المزيد هو النظر إلى وجه الله الكريم.

٣ ـ وقال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦].

والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم، كما ثبت تفسير ذلك في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سئل عن الزيادة فقال: «**النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ** ﷻ»[(١)].

٤ ـ وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفّفين: ١٥] يعني: الكفرة.

وقد استدل الإمام الشافعي رحمه الله: بهذه الآية على إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، فقال: (فلما حجبهم في السخط، كان في هذا دليل على أنهم يرونه في الرضا)[(٢)] أي: لما حجب هؤلاء الكفرة في السخط، دل على أن المؤمنين يرونه، ولو كانوا لا يرونه لتساووا هم وأعدائهم في الحجب.

ـ وكذلك النصوص في السنة متواترة في إثبات الرؤية، قال العلامة ابن القيم (وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة)[(٣)] (وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين)[(٤)]. **فمنها ما يلي:**

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن نفراً من الصحابة قالوا: يا رسول

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٨١).
(٢) انظر: تفسير الشافعي (٣/ ١٤٢٩) تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.
(٣) انظر: حادي الأرواح لابن القيم (ص٢٩٦).
(٤) ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٣٤).

الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**»(١).

٢ ـ حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى القمر ليلة الرابع عشر فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢).

٣ ـ حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ**»(٣).

۞ محل رؤية المؤمنين لربهم:

أثبت أهل السنة رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وأما في الدنيا فلا يراه أحد على الصحيح، ولم يختلف أهل السنة في ذلك إلا في نبينا ﷺ ليلة المعراج، واتفقوا على أنه لم يره في الأرض، وإنما اختلفوا في رؤيته لما عرج به على قولين:

القول الأول: أنه رأى ربه بعين رأسه.

القول الثاني: أنه رآه بعين قلبه، وهذا هو الصواب؛ **لما يلي:**

١ ـ قول عائشة رضي الله عنها لمسروق لما سألها: هل رأى محمد ربه؟

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم: (٧٤٣٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ العَصْرِ، رقم: (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: (٦٣٣).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾، رقم: (٧٤٤٤).

قالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: «**مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ**»(١).

٢ ـ حديث أبي ذر في صحيح مسلم لما سئل النبي ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «**نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ**»(٢).

يعني: أن النور حجابه، يمنعني من رؤيته.

٣ ـ حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ**» ـ وَفِي رِوَايَةٍ: **النَّارُ ـ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٣).

والرسول ﷺ داخل في عموم خلقه جل وعلا.

فالصواب الذي عليه المحققون: أن النبي ﷺ لم يرى ربه ليلة المعراج، لكنه سمع كلام الله من وراء حجاب بدون واسطة، كلمه الله كما كلم موسى، قال تعالى: ﴿۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١].

ـ وجمع بعض العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية (٤): بين النصوص؛ لأن من العلماء من ذهب إلى أن النبي ﷺ رأى ربه، فجاء عن ابن عباس أنه قال: «**رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»(٥)، وكذلك روي عن

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، رقم: (٤٨٥٥)

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (١٧٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (١٧٩).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٨٣-٣٨٧).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾، رقم: (١١٤٧٣).

الإمام أحمد أن النبي ﷺ رأى ربه، بأن ما ورد من النصوص والآثار في إثبات رؤية النبي ﷺ لربه، فهي محمولة على رؤية الفؤاد والقلب، وما ورد من الآثار والنصوص في نفي الرؤية، فهي محمولة على نفي الرؤية بالبصر؛ وبهذا تجتمع الأدلة ولا تختلف.

- وممن ذهب إلى أن النبي ﷺ رأى ربه بعينه النووي، والقرطبي، وجماعة[(١)].

- **الجواب عن المرويات في الرؤية بالبصر**[(٢)]:

١ - أما ما روي عن ابن عباس، فإنه روي عنه أنه قال: «**رَأَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**» فهذا مجمل. وروي عنه أنه قال: رآه بفؤاده. فالأول مطلق، والثاني مقيد، فيحمل المطلق على المقيد.

٢ - كذلك ما روي عن الإمام أحمد أنه قال: «**رآه**»، فإنه روي عنه أنه قال: رآه بفؤاده. فيحمل المطلق على المقيد[(٣)].

- وأما في الدنيا فقد أجمع العلماء على أن الله لم يره أحد، ولم يختلفوا إلا في نبينا ﷺ ليلة المعراج.

ولا عبرة بخلاف بعض أهل البدع كالصوفية، الذين يقولون إن الله يمكن أن يُرى، وأنه في كل خطرة يمكن أن يرى الله، فهذا من أبطل الباطل.

- **ورؤية الله في الدنيا جائزة وليست بمستحيلة، ولكنها غير واقعة**؛ فهي ممكنة عقلاً غير واقعة شرعا، وأما في الآخرة فهي جائزة عقلاً

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٥)، وتفسير القرطبي (١٧/ ٩٢).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية "وقد نقلوه رواية عن أحمد بن حنبل، وهو غلط على ابن عباس وعلى أحمد" انظر: المسائل والأجوبة (١/ ١٢٢).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية "ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا: رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم إما إطلاق الرؤية وإما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه"انظر: مجموع الرسائل والمسائل (١/ ٩٩).

وواقعة شرعا.

والدليل على أن الرؤية غير مستحيلة في الدنيا أن موسى سأل ربه الرؤية، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ ولو كانت مستحيلة لما سألها موسى؛ لأن موسى لا يمكن أن يسأل مستحيلاً، لكنه سمع كلام الله، فطمع في أن يرى ربه، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، أي: لن تستطيع الثبات للرؤية بسبب بشريتك الضعيفة، ولهذا قال الله: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فلما تجلى الله للجبل تدكدك الجبل وانساخ وخر موسى صعقا[(١)]، كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال بعض السلف: (مَا تَجَلَّى إِلَّا قَدْرَ الْخِنْصَرِ)[(٢)]. والله أعلم بذلك.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في رؤية الله، وأما في يوم القيامة فإن الله يُنَشّىء المؤمنين تنشئة قوية، يتحملون فيها رؤية الله؛ لأن الإنسان إذا مات يبلى، ويستحيل تراباً إلا عجب الذنب[(٣)]، وفي يوم القيامة ينزل الله مطراً تنبت منه أجساد الناس، ويعيد الله الذرات التي استحالت، وينشئ الله المؤمنين تنشئة قوية يثبتون فيها لرؤية الله ﷻ، فذواتهم هي هي، لكن صفاتهم تتبدل.

---

(١) كما جاء في الحديث: «أنَّ النَّبيَّ ﷺ: قَرأَ هذِهِ الآيةَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قالَ حمَّادٌ: هَكذا، وأمسَكَ سليمانُ بطرفِ إبْهامِهِ على أنملةِ إصبعِهِ اليمنى قال: فساخَ الجبلُ وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا»، أخرجه الترمذي: كتاب أبواب تفسير القرآن، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الأَعْرَافِ، رقم: (٣٠٧٤).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٢٣٠)، وتفسير ابن كثير (٣/ ٤٢٣).

(٣) كما في الحديث: «لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن: بَابُ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨﴾، رقم: (٤٩٣٥)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، رقم: (٢٩٥٥).

۞ الخلاصة:

أن الله تعالى لم يره أحد في الدنيا، لا النبي ﷺ ولا غيره؛ وذلك أن الرؤية نعيم ادخره الله لأهل الجنة، فأعظم نعيم يعطاه أهل الجنة هو رؤية الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [قَ: ٣٥].

ولهذا المؤمنون إذا رأوا الله ﷻ في الجنة؛ نسوا ما هم فيه من النعيم.

۞ مذهب أهل البدع في رؤية الله:

أما أهل البدع فإنهم أنكروا رؤية الله في الدنيا وفي الآخرة، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

فالمعتزلة فسروا الرؤية بالعلم، قالوا: إن معنى قول النبي ﷺ: «**فَإِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ**»[(١)]. المعنى: ترون ربكم علماً لا تمترون فيه ولا تشكون فيه، كما تعلمون أن القمر قمرا؛ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: ١] والرؤية هنا بمعنى العلم، أي: ألم تعلم كيف فعل ربك بأصحاب الفيل.

وهذا التفسير من أبطل الباطل، وبه يفسد المعنى، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «**كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ...، كما ترون الشمس ...**»[(٢)]، وهذه رؤية بصر لا رؤية علم.

وأما الأشاعرة فإنهم أثبتوا الرؤية لكنهم أنكروا الجهة، فقالوا: إن الله يرى لكن لا في جهة.

---

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، رقم: (٢٥٥٤).
(٢) المصدر السابق.

فإذا قيل لهم: هل يرى من فوق؟ يقولون: لا.

هل يرى من تحت؟ يقولون: لا.

هل يرى عن يمين؟ يقولون: لا.

هل يرى عن شمال؟ يقولون: لا.

هل يرى من أمام؟ يقولون: لا.

هل يرى من خلف؟ يقولون: لا.

إذن من أين يرى؟! يقولون: يرى لا من جهة.

وهذا باطل؛ لأن المرئي لابد أن يكون مقابلاً للرائي مواجهاً له، ولهذا ضحك جمهور العقلاء وسخروا من قول الأشاعرة: إن الله يرى لا في جهة.

وهم بذلك أرادوا أن يكونوا مع المعتزلة في إنكار العلو والجهة، وأرادوا أن يكونوا مع أهل السنة في إثبات الرؤية، فعجزوا عن ذلك؛ فلجؤوا إلى حجج سفسطائية، وهي الحجة الموهة التي يرى أنها حجة وهي ليست بحجة، ولهذا فإن الأشاعرة خناثى، كما قال شيخ الإسلام: (إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة)[1] لأنهم ليسوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء؛ في مسألة الرؤية وفي مسائل أخرى كثيرة.

فالمعتزلة والجهمية أنكروا الرؤية، **والأشاعرة** أثبتوا الرؤية إلا أنهم نفوا الجهة.

والصواب والحق هو ما هدى الله إليه أهل السنة، وهو أن الله يُرى يوم القيامة من فوقهم، في حديث جابر في سنن ابن ماجه وفيه

(١) انظر: الرسالة المدنية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/٦).

بعض الضعف، يقول النَّبِيّ ﷺ: «**بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾** [يس: ٥٨]، **قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ**»[(١)].

فهذا فيه: إثبات الرؤية، وأنها من فوق، وفيه أيضاً إثبات الكلام.

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة، بَابٌ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ،رقم: (١٨٤)، قال العقيلي في الضعفاء: أبو عاصم العباداني منكر الحديث (٢/ ٢٧٤).

[١٣] والجنة حق والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا:

[١٤] والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله ﷻ:

الشَّرْح

[١٣] من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار حق، وأنهما مخلوقتان، يعني: إثباتهما حق؛ فيجب على المسلم أن يعتقد ثبوت الجنة والنار، وأن الله تعالى خلق الجنة وأعدها كرامة لأوليائه، وخلق النار وأعدها عذاباً لأعدائه ولأهل معصيته، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (والجنة حق والنار حق وهما مخلوقتان)؛ هذا هو الصواب أن الجنة، والنار مخلوقتان الآن، وأنهما دائمتان أبدا؛ لا تبيدان ولا تفنيان مدى الدهور إلى ما لا نهاية.

[١٤] فالجنة ثواب أعدها الله لأوليائه، وأولياؤه هم المؤمنون؛ كل مؤمن فهو ولي لله، والنار عذاب لأهل معصيته إلا من رحم الله ﷻ.

والإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر، الذي يتضمن الإيمان بالبعث والحساب، والجزاء والصراط، والميزان والجنة والنار.

والأدلة في هذا كثيرة، فمن ذلك:

١ ـ قال الله في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣] وقال في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٤]. أعدت وهيئت؛ إذاً فهي مخلوقة.

٢ ـ وثبت في حديث البراء بن عازب الطويل الذي رواه الإمام

أحمد، وأهل السنن: «**أن المؤمن إذا وضع في قبره يفتح له باب إلى الجنة ،يُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ**». قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ**». قَالَ: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ..... وأما الكافر ... فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ**»[(١)]

٣ ـ وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ رَأَيْتُمْ مَا رَأَيْتُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» قَالُوا: وَمَا رَأَيْتَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**رَأَيْتُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ**»[(٢)].

٤ ـ وفي الصحيحين من حديث عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ؟ فَقَالَ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**» قَالُوا: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «بِكُفْرِهِنَّ» قِيلَ: يَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «**يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، بَابٌ فِي الْمَسْأَلَةِ فِي الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، رقم: (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤) قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين (١/ ١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الصَّلَاةِ، رقم: (٤٢٦).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ النِّكَاحِ،بَابُ كُفْرَانِ العَشِيرِ وَهُوَ الزَّوْجُ، وَهُوَ الخَلِيطُ، مِنَ المُعَاشَرَةِ، رقم: (١٠٥٢)، ومسلم: كِتَابُ الْكُسُوفِ، رقم: (٩٠٧).

كل هذا من الأدلة التي تدل على وجود الجنة والنار، ومن أنكر البعث أو أنكر الجنة والنار فهو كافر؛ لأنه مكذب لله ومن كذب الله كفر، ولأنه لا يؤمن بالآخرة.

۞ مذاهب أهل البدع في الجنة والنار:

١ ـ **ذهبت المعتزلة**: إلى أن الجنة والنار معدومتان الآن، وأنهما لا تخلقان إلا يوم القيامة.

شبهتهم عقلية، يقولون: إن الجنة والنار إنما تخلقان يوم القيامة إذا جاء الجزاء، والآن ليس هناك جزاء، فالقول بأنهما مخلوقتان الآن عبث، والعبث محال على الله فكيف تخلقان الآن، وليس هناك نعيم ولا عذاب؛ وهذا خطأ.

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال لهم: من قال لكم أنه ليس فيه جزاء الآن، فأرواح المؤمنين تنعم في الجنة، كما جاء في الحديث: **«إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[(١)].

فهذا من جهل المعتزلة وضلالهم.

فقول المعتزلة قول باطل فاسد مصادم للنصوص، ومصادم للعقل، وهم اعتمدوا على آرائهم وتركوا النصوص وراءهم ظهريا، فلذلك ضلوا وأضلوا. نسأل الله السلامة والعافية.

٢ ـ **ذهبت الجهمية**: إلى أن الجنة والنار تفنيان يوم القيامة بعد مدة طويلة، **قالوا**: الجنة تبقى مدة يتنعم فيها المؤمنون، والنار تبقى مدة يعذب فيها الكفار، ثم بعد مدة تفنيان.

---

(١) أخرجه النسائي: كِتَابُ الْجَنَائِزِ،أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، رقم: (٢٠٧٣).

وهذا القول من أفسد ما قيل في هذا، ولهذا أنكر أهل السنة على الجهم وصاحوا به وبدعوه وضللوه؛ لأن النصوص صريحة في بقائهما.

٣ ـ **ذهب أبو الهذيل العلاف**[(١)]: شيخ المعتزلة في القرن الثالث الهجري إلى أنه تفنى حركات أهل الجنة، وأما أهل النار فتجمد.

وناقش ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أبو الهذيل العلاف فقال:

وكذاك ما حال الذي رفعت يدا ... هـ أكلة من صفحة وخوان
فتناهت الحركات قبل وصولها ... للفم عند تفتح الأسنان
وكذاك ما حال الذي امتدت يد ... منه إلى قنو من القنوان
فتناهت الحركات قبل الأخذ هل ... يبقى كذلك سائر الأزمان[(٢)]

(قال أبو الهذيل العلاف بفناء حركاتهم دون ذواتهم فإذا رفع أحدهم اللقمة إلى فيه وفنيت الحركات بقيت يده ممدودة لا تتحرك وتبقى كذلك أبد الآبدين وإذا جامع الحوراء وفنيت الحركات يبقيان كذلك في تلك الحال أبد الآبدين فيبقون في سكون الأحجار)[(٣)].

على هذا القول الفاسد كيف تكون حال من تناول عنقودا، ثم فنيت حركته يبقى ممدود اليد، كيف حال من كان كذا يتنعم في الجنة قد شُلَّ؟!

---

(١) وَرَأْسُ المُعْتَزِلَةِ أَبُو الهُذَيْلِ مُحَمَّدُ بنُ الهُذَيْلِ البَصْرِيُّ العَلَّافُ صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ الَّذِي زَعَمَ أَنَّ نَعِيْمَ الجَنَّةِ، وَعَذَابَ النَّارِ يَنْتَهِي بِحَيْثُ إِنَّ حرمات أَهْلِ الجَنَّةِ تَسْكُنُ، حَتَّى لَا يَنْطِقُوْنَ بِكَلِمَةٍ وَأَنْكَرَ الصِّفَاتِ المُقَدَّسَةَ حَتَّى العِلْمَ، وَالقُدرَةَ وَقَالَ: هُمَا اللهُ، وَأَنَّ لِمَا يَقْدِرُ اللهُ عَلَيْهِ نِهَايَةً وَآخِراً وَأَنَّ لِلْقُدْرَةِ نِهَايَةً لَوْ خَرَجَتْ إِلَى الفِعْلِ فَإِنْ خَرَجَتْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى خَلْقِ ذَرَّةٍ أَصْلاً، مات في سنة سبع وعشرين، وقيل: في سنة خمسٍ وثلاثين ومائتين.
انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٢٩)، وتاريخ الإسلام (٥/ ٧٣٧).

(٢) انظر: الكافية الشافية (١/ ١٠).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (٣/ ١١٩٢).

۞ مسألة: فناء النار:

روي عن بعض السلف أن النار تفنى بعد مدد طويلة، وهذه الآثار لا تخلوا من مقال وانقطاع فالذي عن عمر رضي الله عنه منقطع بينه وبين الحسن[(١)].

وحمل بعض أهل العلم ماروي على محمل حسن، وهو أن قولهم أن النار تفنى، محمول على طبقة من طبقات النار، وهي الطبقة التي يكون فيها العصاة، فإذا أخرج العصاة عصاة الموحدين، ولم يبق فيها أحد فنيت الطبقة التي هم فيها، أما الكفار فإن نارهم لا تفنى بل تبقى أبد الآباد؛ وهذا هو الصواب.

ومن نسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية : القول بفناء النار فقد غلط، فكلام شيخ الإسلام صريح في أن النار تبقى وأنها مثل الجنة فهما دائمتان لا تفنيان[(٢)].

وأما ابن القيم فالأقرب والله أعلم أن له قولان في المسألة وأنه رجع عن أحدهما، ولعل الذي رجع عنه القول بفناء النار[(٣)].

۞ قدر مُكْث عصاة الموحدين في النار:

عصاة الموحدين الذين يدخلون النار لا يبقون فيها؛ بل يمكثون فيها على حسب جرائمهم، ثم يخرجهم الله بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

ـ وقد ثبت أن نبينا ﷺ يشفع في العصاة أربع مرات، كل مرة يحد

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٤٢٨).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٢٨)، (١٦/ ١٩٧)، (١٨/ ٣٠٧)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٨١)، ومنهاج السنة (١/ ١٤٦).
(٣) للمزيد حول كلام ابن القيم رحمه الله انظر: حادي الأرواح (١/ ٣٦٤) شفاء العليل (١/ ٢٦٠).

الله له حدا أي: علامة فيخرجهم، فجاء في حديث أنس ﷺ أنه قال: «**انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ**» وفي الثانية يقال له: «**انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ـ أَوْ خَرْدَلَةٍ ـ مِنْ إِيمَانٍ**»، وفي الثالثة يقال له: «**انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ**»، وفي المرة الرابعة يقول: «**لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[(١)].

وذلك أن المعاصي ولو كثرت وعظمت لا تقضي على الإيمان بالكلية، لكنها تضعفه، وإنما يقضي على الإيمان: الكفر.

ـ والعصاة الموحدون الذين ماتوا على التوحيد أقسام:

١ ـ منهم من يعفو الله عنه.

٢ ـ ومنهم من يستحق دخول النار ثم يشفع فيه فيشفع الله فيه.

٣ ـ ومنهم من يدخل النار فيعذب ثم يخرجون منها بشفاعة الشافعين يشفع نبينا ﷺ، ويشفع الأنبياء، ويشفع الملائكة، ويشفع الأفراط والصالحون، وتبقى بقية لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته.

٤ ـ ومنهم من يطول مكثه بسبب كثرة جرائمه، أو فحشها وغلظها كالقاتل، فان الله أخبر أنه مخلد، فقال ﷻ: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا**﴾ [النِّسَاء: ٩٣] والمراد بالخلود هنا المكث الطويل.

فهو مكث طويل لكن له نهاية، بخلاف خلود الكفرة، فإنه خلود مؤبد لا نهاية له. نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، رقم: (٧٥١٠)، واللفظ له، ومسلم: كِتَابُ اَلْإِيمَانَ، رقم: (١٩٣).

ـ وثبت في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنهم يخرجون منها: **«قَدْ امْتُحِشُوا وَعَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ـ أَوْ قَالَ ـ: حَمِيَّةِ السَّيْلِ»**[(١)].

فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فإذا تكامل خروج العصاة، ولم يبق أحد فإن النار تطبق على الكفرة ـ نعوذ بالله من ذلك ـ بجميع أصنافهم، فلا يخرجون منها أبد الآباد؛ من اليهود والنصارى، والوثنيين، والملاحدة.

والمنافقون في الدرك الأسفل منها كما قال الله سبحانه:

١ ـ ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾﴾ [الهُمَزة: ٨] يعني: مطبقة مغلقة.

٢ ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المَائدة: ٣٧].

٣ ـ ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البَقَرَة: ١٦٧].

٤ ـ ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسرَاء: ٩٧].

٥ ـ ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النّبَإ: ٢٣] والأحقاب جمع حقب وهي المدد المتطاولة، كلما انتهى حِقْبٌ يعقب حِقْبٌ، إلى ما لا نهاية؛ نسأل الله السلامة والعافية.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: (٦٥٦٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٨٤).

[١٥] والصراط حق:

الشَّرْح

[١٥] الصراط هو: الجسر المنصوب على متن جهنم، والإيمان بالصراط داخل في الإيمان باليوم الآخر.

ويُنصب الصراط يوم القيامة فيمر عليه الناس على قدر أعمالهم، وذلك بعد الحساب والجزاء، بعد أن يقف الناس بين يدي الله للحساب، ثم تتطاير الصحف فمن الناس من يعطى كتابه بيمينه وهم المؤمنون، ومنهم من يعطى كتابه بشماله ملوية وراء ظهره وهم الكفرة.

ثم الورود على حوض نبينا ﷺ؛ ثم الميزان؛ ثم المرور على الصراط.

فالصراط يُجعل على متن جهنم، فيمر عليه الناس على قدر أعمالهم، فالزُّمرة الأولى تمر كالبرق، والثانية كالريح، وكالطير، وكأجاود الخيل، وكالرجل يعدو عدوا، وكالرجل يزحف زحفا، ومنهم من يُخطف ويُلقى في النار.

وعلى الصراط كلاليب تخطف من أُمرت بخطفه، والنبي ﷺ قائم يقول: «**اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**»[(١)]، حتى تعجز أعمال العباد.

فمن تجاوز الصراط نجا إلى الجنة، ومن سقط سقط في النار، وهؤلاء المؤمنون الذين لهم حسنات وسيئات، وأما الكفار فليس لهم حسنات، وإنما تعد ذنوبهم فيُقررون بها، ثم يساقون إلى النار سوقا

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ فَضْلِ السُّجُودِ، رقم: (٨٠٦)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ،رقم: (١٨٢).

نعوذ بالله كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مَريَم: ٨٥-٨٦].

وإذا تجاوزه المؤمنون يوقفون أيضا على صراط آخر، وقيل: إنه طرف الصراط وهو خاص بالمؤمنين؛ حتى يُقْتَصَّ لبعضهم من بعض لمظالم كانت بينهم، فإذا اقتص بعضهم من بعض صفَّى الله تعالى قلوبهم وصدورهم، ونزع الغل الذي في صدورهم؛ فدخلوا الجنة على غاية من الصفاء ـ بعد شفاعة النبي ﷺ بأن يُؤذن في دخول الجنة ـ نسأل الله الكريم من فضله.

والصراط منصوب على متن جهنم، والله تعالى أقسم في كتابه أن كل أحد سيرد على النار فقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مَريَم: ٧١]، **وقد اختلف العلماء في الورود:**

القول الأول: الورود هو دخول النار.

القول الثاني: هو المرور على الصراط.

ـ والذين قالوا بأن المراد الدخول استدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [مَريَم: ٧٢].

وأجيب بأنه لا يلزم من النجاة الوقوع في العذاب، فالأنبياء نجاهم الله ولم يصبهم العذاب كما أصاب أممهم، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [هُود: ٦٦]، وقال في حق لوط: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ [العَنكبوت: ٣٢].

فالصواب أن المراد بالورود في الآية هو المرور على الصراط، وقول المعتزلة أن الصراط صراط معنوي، باطل فاسد مصادم للنصوص.

[١٦] والميزان الذي له كفتان يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق:

الشَّرْح

[١٦] يجب الإيمان بالميزان، وأنه حق كما قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو ميزان حسي له كفتان توزن فيه أعمال العباد حَسَنُها وسيئها.

ـ ورد في بيان الكفتين أن الكفة الواحدة أعظم من طباق السموات والأرض توزن فيه أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه نجا، ومن خفت موازينه هلك.

ـ ويوزن الأشخاص أيضا فمنهم من يثقل، ومنهم من يخف على حسب الأعمال، **كما ثبت في الحديث:**

١ ـ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١) متفق عليه.

٢ ـ أن عبدالله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**»(٢).

فالثِّقَلُ والخِفَّةُ بحسب الأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: ١٠٥] الآيَةَ، رقم: (٤٧٢٩)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم: (٢٧٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: رقم: (٣٩٩١).

مسألة: اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة؟

الجواب: القول الأول: أنها موازين متعددة؛ فلكل أمة ميزان، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

القول الثاني: أنه ميزان واحد، وإنما جمعت الموازين باعتبار تعدد الموزون.

فأهل السنة يؤمنون بالميزان والصراط، وأنه ميزان حسي له كفتان، والصراط صراط حسي.

۞ مذهب أهل البدع في الميزان والصراط:

وذهبت المعتزلة إلى إنكار الصراط الحسي والميزان الحسي، **وقالوا**: إن الميزان ليس ميزاناً حسياً؛ لأن الله لا يحتاج إلى الميزان، إنما الذي يحتاج إلى الميزان البقال والفوال، أما الرب ﷻ فلا يحتاج إلى ميزان، **وقالوا**: إن المراد بالميزان العدل، وذلك أن المعتزلة يعملون عقولهم ويصادمون بها النصوص؛ فلهذا أنكروا أن يكون الميزان ميزاناً حسيا.

وهذا من أبطل الباطل، **والصواب**: أنه ميزان حسي، وأن الصراط صراط حسي.

[١٧] والحوض المكرم به نبينا ﷺ وعلى آله حق:

الشَّرْح

[١٧] ثبت في الأحاديث الصحيحة أن لنبينا ﷺ حوضا في موقف القيامة وهو حوض عظيم، ومورد كريم:

- **صفة الحوض:**

طوله مسافة شهر،[(١)] وعرضه مسافة شهر، وأوانيه التي يشرب فيها عدد نجوم السماء، وماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا حتى يدخل الجنة ـ نسأل الله الكريم من فضله ـ.

كما جاء في الحديث: «**بَيْنَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَمُضَرَ آنِيَتُهُ أَكْثَرُ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ ـ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ**»[(٢)].

ويصب فيه ميزابان من نهر الكوثر في الجنة[(٣)].

وثبت أن النبي ﷺ قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ**»[(٤)]، والفرط هو السابق الذي يتقدم القوم، ويهيئ لهم ويعد لهم ما يحتاجون؛

---

(١) كما جاء في الحديث: «**مَا بيْنَ نَاحِيَتَي حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى صَنعَاء، مَسِيرةُ شَهْرٍ، عَرْضُهُ كَطُولِه**» أخرجه الهيثمي في زوائد ابن حبان (٨/ ٣٠٤/ ٢٦٠٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده رقم: (٢٣٣١٧).

(٣) كما جاء في الحديث: «**يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ**» أخرجه مسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم: (٢٣٠٠).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، بَابٌ فِي الحَوْضِ، رقم: (٦٥٧٥).

يعني: أسبقكم وأتقدمكم.

وفي بعض الروايات: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي**» ـ وفي لفظ: «**أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي**»[(١)] ـ «**فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**»[(٢)].

أي: أنه يأتي قوم يردون على الحوض فيطردون تطردهم الملائكة، ويذادون كما تذاد الإبل العطاش، فيقول النبي ﷺ: «**إِنَّهُمْ مِنِّي**»، وفي رواية: «**يا رب أصحابي أصحابي، فيقال للنبي ﷺ إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**[(٣)]**، فقال النبي ﷺ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي**»، يعني: بعدا. وقال العلماء هؤلاء الأعراب الذين أسلموا، ولم يثبت الإيمان في قلوبهم فارتدوا والعياذ بالله، وأما الصحابة الكرام الذين ثبت الإيمان في قلوبهم ورسخ؛ فإن الله عصمهم وسلمهم من الردة.

۞ مسألة في مسافة الحوض:

وهذا الحوض مسافة طوله شهر وعرضه شهر، وجاء في بعض الأحاديث أن مسافته ما بين الشام ومكة[(٤)]، وجاء (مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ)[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧]، رقم: (٤٦٢٥)، ومسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم: (٢٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم: (٦٥٨٣)، ومسلم: الفضائل (٢٢٩١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم: (٢٨٦٠).

(٤) كما في الحديث: «**إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ**» أخرجه أحمد في مسنده: رقم: (٦٨٧٢).

(٥) أخرجه مسلم: كتاب الْفَضَائِلِ، رقم: (٢٢٩٩).

فاختلفت المسافة، **فمن العلماء من جمع بينهما:**

١ ـ باختلاف المسألة بالطول أو بالعرض.

٢ ـ باختلاف السير.

فالمسافة تحمل على السير السريع بالمسافة القصيرة، والمسافة الطويلة تحمل على السير البطيء.

مسألة: اختلف العلماء هل الأنبياء لهم أحواض أم هو خاص بنبينا ﷺ؟

جاء في الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا**»[(١)]، ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأفضلها، وأحلاها وأكثرها واردا.

مسألة: اختلف العلماء في الحوض والميزان أيهما يقدم؟

القول الأول: أن الحوض متقدم قبل الميزان.

القول الثاني: أن الميزان هو الأول.

ورجح المحققون أن الحوض يكون أولاً؛ وذلك لما يلي:

١ ـ لأنه لو كان الميزان أولاً لكان من خَفَّت موازينه يَعرف أنه لا يرده فلا يأتي.

٢ ـ ثبت في الحديث أنه يذاد قوم غيروا، وبدلوا: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(٢)] فدل على أن الحوض قبل الميزان.

٣ ـ لأن الناس يقومون من قبورهم عطاشا، فيناسب أن يكون الحوض قبل ذلك.

---

(١) أخرجه الترمذي: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الحَوْضِ، رقم (٢٤٤٣) وقال «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

(٢) سبق تخريجه.

مسألة: كذلك الصراط والميزان اختلف العلماء أيهما يسبق الآخر؟

القول الأول: أن الميزان هو الأول.

القول الثاني: أن الصراط هو الأول.

والأرجح في الترتيب: أن الحوض يكون أولاً ثم الميزان ثم الصراط.

قول ثانٍ: ومن العلماء من قال: إن الحوض بعد الصراط.

وأجيب: بأنه كيف يكون الحوض بعد الصراط، والحوض يصب فيه ميزابان من نهر الجنة والصراط منصوب على متن جهنم، فلو كان بعد الصراط لكانت النار تحول بين الميزابين وبين الحوض.

قول ثالث: ومنهم من قال: إن الحوض إذا كان طويلا مسافته شهر يمكن أن يكون طرفه بعد الصراط.

قول رابع: ومنهم من قال: إن المؤمنين يشربون مرتين قبل الصراط وبعد الصراط.

قول خامس: ومنهم من قال: أن الناس أقسام؛ فبعض الناس يَرِدُ على الحوض قبل الصراط، ومنهم من يرد عليه بعد الصراط.

ولكن الصواب أن الصراط يكون بعد ذلك؛ لأن الصراط منصوب على متن جهنم، ومن تجاوز الصراط وصل إلى الجنة، فكيف يرجع مرة أخرى إلى الأرض!

[١٧] والشفاعة حق:

[١٨] وأن ناساً من أهل التوحيد يخرجون من النار بالشفاعة حق:

الشَّرْح

[١٧] **الشفاعة في اللغة**: الوساطة، وهي أن تضم صوتك إلى صوت الطالب، فيكون الشيء شفعا بعد أن كان وترا، فإذا قال لك شخص: اشفع لي عند فلان، أو عند الرئيس، أو الأمير أو المدير؛ فهو في أول الأمر طالبٌ وحده، فإذا شفعت له ضممت صوتك إلى صوته، وضممت نفسك إلى نفسه، صرْتما شفعا بعد أن كان هو وترا.

والشفاعة في الاصطلاح: طلب الخير للغير، أو مساعدة ذي الحاجة عند من يملك الحاجة.

والشفاعة حق، وهي أنواع؛ منها ما هو خاص بالنبي ﷺ، ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره:

الشفاعة الأولى ـ وهي أعظمها ـ: **الشفاعة العظمى**، وهي الشفاعة في أن يقضي الله بين العباد ويريحهم من طول وعناء الموقف.

وهذه الشفاعة هي التي يتأخر عنها أولو العزم الخمسة وآدم؛ يتأخر عنها آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى.

إذا وقف الناس بين يدي الله للحساب يقفون موقفا عظيما طويلا تدنو الشمس من الرؤوس، ويزاد في حرارتها فيموج الناس بعضهم إلى بعض، ويطلبون من يشفع لهم إلى الله حتى يحاسبهم، ويريحهم من هذا الموقف.

ورد في حديث الشفاعة الطويل أن النبي ﷺ قال: «يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَمَا تَرَى النَّاسَ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى، عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ، عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونِي، فَأَنْطَلِقُ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ لِي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الخُلُودُ»[(١)].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، رقم: (٧٤١٠).

هذه الشفاعة العظمى في أهل الموقف وهي عامة لأهل الموقف جميعا؛ من المؤمنين والكفار، شفاعةً في أن يحاسب الله العباد.

- والنبي ﷺ لا يبدأ بالشفاعة إلا بعد أن يؤذن له، وذلك أنه لا يستطيع أحد أن يشفع عند الله إلا بالإذن، قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥]. وإنما يسجد أولا تحت العرش، ويحمد الله حتى يأتيه الإذن، فيقول الله كما جاء في الحديث: «**يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**»(١).

وذلك أن الشفاعة لها شرطان، لابد من تحققهما:

الشرط الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع، كما قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: رضاه عن المشفوع له كما قال سبحانه:

١ - ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبيَاء: ٢٨].

٢ - ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجْم: ٢٦].

- فيشفع النَّبيّ ﷺ في الخلائق فيقضي الله بينهم، وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسرَاء: ٧٩].

- فيقضي الله تعالى بين الخلائق ويحاسبهم جميعا في وقت واحد، لا يلهيه شأن عن شأن، ويفرغ منهم في مقدار منتصف النهار، وحين يأتي وقت القيلولة، يكون أهل الجنة في الجنة، فيقيلون فيها، كما قال الله ﷻ عنهم: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفُرقان: ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ ﷻ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ، رقم: (٧٥١٠).

- يحاسبهم سبحانه وتعالى في وقت واحد كما أنه يخلقهم ويرزقهم ويعافيهم في وقت واحد، أما المخلوق فلضعفه لا يستطيع أن يكلم عدة أشخاص في وقت واحد، لكن الخالق ﷻ يحاسب الخلائق كلهم في وقت واحد، ويفرغ منهم في مقدار منتصف النهار.

- ويقرر المؤمن بذنوبه كما في الحديث: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾** [هُود: ١٨]»[(١)].

الشفاعة الثانية: **الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها،** وذلك أنهم لا يدخلون الجنة حتى يشفع لهم النبي ﷺ، لقول النبي ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ، لَمْ يُصَدَّقْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيًّا مَا يُصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ**»[(٢)].

الشفاعة الثالثة: **شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب،** فأبو طالب كان يحمي النبي ﷺ، ويذود عنه ويدافع عنه، فخف كفره، فلذلك يشفع النبي ﷺ فيه شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج، إنما لتخفيف العذاب فقط، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، رقم: (٢٤٤١)، ومسلم: كتاب التوبة، رقم: (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٩٦).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ كُنْيَةِ المُشْرِكِ،رقم: (٦٢٠٨)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢٠٩).

وفي لفظ: «**لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ**»(١).

ـ وقد جاء في الحديث: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ**»(٢)، فمن شدة ما يجد من العذاب، يظن أنه أشد أهل النار عذابا، وهو أخفهم.

ـ وهذه الشفاعات الثلاث؛ خاصة بنبينا ﷺ.

الشفاعة الرابعة: **الشفاعة في قوم من العصاة استحقوا دخول النار فلا يدخلونها**، والشفاعة في قوم دخلوها حتى يخرجوا منها.

ـ الشفاعة العظمى والشفاعة لأهل الجنة في الإذن بدخولها أثبتها المعتزلة والخوارج، وأما الشفاعة في العصاة، فأنكرها الخوارج والمعتزلة مع أن الأحاديث فيها متواترة كما سبق أن نبينا ﷺ يشفع أربع شفعات، والأفراط يشفعون، والملائكة يشفعون، ومع ذلك أنكرها الخوارج والمعتزلة، لأن الخوارج يرون كفر صاحب الكبيرة فيقولون صاحب الكبيرة كافر ويجب أن يخلد في النار، وكذلك المعتزلة يُخَلِّدون في النار فيقولون: يجب على الله عقلا أن يُنْفِذَ وعيده، وليس له أن يرحم ـ والعياذ بالله ـ.

فالمعتزلة والخوارج أنكروا الشفاعة في العصاة، فقالوا إنه ليس لهم شفاعة، واستدلوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة عن الكفار، كقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غَافر: ١٨]، فالآيات التي في الكفار جعلوها في العصاة.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَابُ قِصَّةِ أَبِي طَالِبٍ،رقم: (٣٨٨٥)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: (٦٥٦١)،ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢١٣).

وأنكروا خروج العصاة من النار، ولهذا أنكر عليهم أهل السنة، وصاحوا بهم ويدعوهم وضللوهم، وقالوا لهم إن الأحاديث متواترة في خروج العصاة من النار ومع ذلك أنكروها، والله تعالى يقول في كتابه العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

الشفاعة الخامسة: **في الإذن لأهل الجنة في دخولها.**

الشفاعة السادسة: **في رفع درجات قوم من أهل الجنة وزيادة ثوابهم.**

ومنهم من زاد:

الشفاعة السابعة: **الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم.**

[٢٠] وعذاب القبر حق:

[٢١] ومنكر ونكير حق:

الشَّرْح

[٢٠،٢١] وكذلك أيضا نعيم القبر حق، فكان على المؤلف أن يقول: وعذاب القبر حق، ونعيم القبر حق.

عذاب القبر ثابت وكذلك نعيم القبر، دل عليه القرآن ودلت عليه الأحاديث، **فمن الأدلة على إثبات عذاب القبر:**

١ ـ قول الله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

فقوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ﴾ هذا في القبر في البرزخ، بدليل قوله بعد ذلك ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: ٥٠]، هذا عذاب في البرزخ يضربون وجوههم وأدبارهم عند الموت، وبعد الموت يبدأ عذاب القبر ونعيمه.

٣ ـ وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ

تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: ٩٣] هذا فيه إثبات عذاب القبر.

٤ ـ ومن الأدلة على نعيم القبر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فُصّلَت: ٣٠].

٥ ـ وثبت في الحديث الصحيح أن المؤمن إذا مات يفتح له باب إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويوسع له في قبره مد البصر، وأن الكافر يفتح له باب إلى النار، فيأتيه من عذابها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

وهو حديث البراء في قصة قبض روح المؤمن، وكيفية قبض روح المؤمن، وكيفية قبض روح الفاجر والكافر، ومسألة الملكين قال: في حديث البراء: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**». قَالَ: «**فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ**» قَالَ: «**فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ، يَعْنِي بِهَا، عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى**

الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا، وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي». قَالَ: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ». قَالَ: «فَتُفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحٍ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا». ثُمَّ قَرَأَ:

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١] **فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْهَاهْ لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَالَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»**[(١)]. نسأل الله السلامة والعافية.

٦ ـ وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **«لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»**[(٢)].

والصواب: أن النعيم والعذاب يكون للروح والجسد معا، فالروح تُنَعَّم مفردة وتُنَعَّم متصلة بالجسد.

فروح المؤمن تنقل إلى الجنة ولها صلة بالجسد، وروح الكافر تُلقى في النار، ولها صلة بالجسد، وتنعم الروح مفردة ومتصلة بالجسد، وتعذب روح الفاجر مفردة ومتصلة بالجسد؛ هذا هو الصواب.

والجسد يبلى ويكون ترابا والروح باقية في نعيم، أو في عذاب.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (١٨٥٣٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رقم: (٢٨٦٨).

۞ مذهب أهل البدع في عذاب القبر ونعيمه:

ذهبت المعتزلة إلى أن العذاب والنعيم يكون للروح فقط، وأنكرت أن يكون للجسد وقالوا: إن الجسد يفنى، وهذا باطل.

- تنبيه:

إن كل من مات لابد أن يناله ما قدر له، وأمور البرزخ أمور غيبية لا دخل للعقل فيها، فيجب الإيمان بها، فكل أحد يُسأل ويضيق عليه ويُوسع له؛ سواء دُفِنَ، أو لم يُدفن؛ قُبر أو لم يُقبر، فمن أكلته السباع والطيور، والحيتان في البحر، ومن صُلب على خشبة، كل هؤلاء ينالهم ما كتب الله لهم من النعيم والعذاب، وتضييق القبر وتوسيعه، والمسألة، لأن أمور الغيب لا دخل للعقل فيها، فنحن نؤمن بها والله أعلم بالكيفية.

۞ الخلاصة:

يجب الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، وبمسألة منكر ونكير؛ كل إنسان لا بد أن يحصل له ذلك على أي حالة كان دفنه ومكانه.

[٢٢] والكرام الكاتبون حق:

الشَّرْح

[٢٢] الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وركن من أركان الإيمان، فمن لم يؤمن بالملائكة فهو كافر، ومن أنكر ملكاً من الملائكة فهو كافر ومكذب لله.

- والملائكة هم الكرام على الله، خلقهم الله من نور، كما في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(١)، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، وقد جعل الله تعالى لهم وظائف متعددة؛ فالكرام الكاتبون هم الملائكة الذين يكتبون الحسنات والسيئات، **كما قال سبحانه:**

١ - ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧-١٨].

٢ - ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١].

- فكل إنسان **وُكِلَ به ملكان كَتَبَة**، واحد على اليمين يكتب الحسنات، والآخر عن الشمال يكتب السيئات.

- كما إن الإنسان أيضا **وُكِل به ملكان للحفظ**، واحدٌ من أمامه، وواحدٌ من خلفه.

فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي على الشمال يكتب

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، رقم: (٢٩٩٦).

السيئات، واثنان حَفَظَةٌ من أمامه ومن خلفه، أربعة أملاك في الليل، وأربعة أملاك في النهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر؛ كما قال ﷺ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**»[(١)].

ومن الملائكة من وُكِلَ بتدبير أمر النطفة حتى يتم خلقها.

ومنهم: من وُكِلَ بالجبال.

ومنهم: من وُكَلَ بالجنة وإعداد الكرامة لأهلها.

ومنهم: من وُكَلَ بالنار وإعداد العذاب لأهلها، والنار لها خازن مالك والجنة لها خازن.

ومنهم: من هو مُوكل بالقطر والماء.

ومنهم: من هو مُوكل بالنبات.

ومنهم: من هو مُوكل بالنجوم.

ومنهم: ملائكة مُوكلون بعمارة السماوات.

ومنهم: من هو مُوكل بحمل العرش، وهم: أربعة، ويوم القيامة: ثمانية، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾ [الحَاقَّة: ١٧].

ومنهم: من يعمرون السماوات بالعبادة بالركوع والقيام والسجود.

ومنهم: من يطوف بالبيت المعمور، وهو بيت كالكعبة في السماء، تحاذي الكعبة الأرضية، لو سقط لسقط عليه، وهو البيت المعمور، كما قال ﷺ: «**البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ**

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ العَصْرِ، رقم: (٥٥٥)، ومسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٦٣٢).

مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»[(١)].

وكل حركة في السموات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة؛ فهم المرسلات عُرفاً، والعاصفات عصفا، وهم الناشرات نشرا، وهم الفارقات فرقا، وهم المُلقيات ذكرا، وهم النازعات غرقا، وهم الناشطات نشطا، وهم السابحات سبحا، وهم السابقات سبقا، وهم المدبرات أمرا؛ كل هؤلاء من الملائكة.

ـ فكل حركة في السماوات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة بأمر الله الكوني؛ خلافا لأعداء الله الفلاسفة الذين يقولون إن النجوم هي المدبرة.

ـ فالملائكة وظفهم الله بهذه الوظائف، فلابد من الإيمان بهم، واعتقاد أنهم ذوات وأشخاص محسوسة، تنزل وتصعد وتذهب، وترى وتجيء، وتخاطب الرسول ﷺ.

۞ مذهب أهل البدع في الملائكة:

الفلاسفة: أنكروا الملائكة، وقالوا: الملائكة عبارة عن أشباح وأشكال نورانية.

وإذا تقربوا إلى أهل الإسلام قالوا: الملائكة عبارة عن أمور معنوية تبعث على الخير وعلى الإحسان، وعلى الإيثار، وعلى الشجاعة، والإقدام.

والشياطين أمور معنوية تبعث على الظلم والإيذاء.

وهؤلاء كفرة ـ والعياذ بالله ـ.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ،بَابُ ذِكْرِ المَلَائِكَةِ، رقم: (٣٢٠٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٦٢).

[٢٣] والبعث من بعد الموت حق:

الشَّرح

[٢٣] **البعث في اللغة**: الإثارة، **وشرعا**: بعث الأجساد وإعادة الأرواح إليها بعد خلقها؛ وقيام الناس من قبورهم للبعث والحساب.

فالبعث حق، وهو أصل من أصول الإيمان، فمن أنكره فهو كافر بإجماع المسلمين، **والله تعالى أمر نبيه أن يقسم على البعث في ثلاث مواضع من كتابه:**

الموضع الأول: قال سبحانه: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾ [التَّغابُن: ٧]. فأمر الله نبيه أن يحلف ويقسم على البعث والساعة.

الموضع الثاني: قول تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سَبَإ: ٣].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝٥٣﴾ [يُونس: ٥٣].

فأمره الله أن يقسم على البعث في هذه المواضع.

ـ والبعث للأجساد حق وذلك أن الإنسان إذا مات ودُفِنَ في الأرض، فإن الأرض تأكل جسده، ولا يبقى إلا عَجْب الذنب الذي هو العصعص، وهو آخر فقرة في العمود الفقري؛ كما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ**

عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الخَلْقُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

فإذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق؛ مات الناس كلهم، ثم يمكث الناس بعد نفخة الصعق كما في الحديث: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ـ أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ ـ مَطَرًا فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ**»(٢)، ويعيد الله الذرات التي استحالت؛ لأنه عالم وقادر سبحانه وتعالى، كما قال ﷻ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [قٓ: ٤].

❁ مذهب أهل البدع في البعث:

الجهم بن صفوان يقول: إن الذي يعاد هو شخص آخر، فيقول: إن الذي يُنَعَّم ويعذب شخص آخر غير الذي مات فذاك بلي جسمه وانتهى، فهو يعود شخصاً آخر.

وهذا كفر وضلال والعياذ بالله، وهو الذي فتح باباً لابن سينا فأنكر البعث، فلما قال الجهم أن الذي يعاد غير الجسد، **قال ابن سينا**: إذن ليس فيه بعث، فأنكر البعث ـ والعياذ بالله ـ.

ـ تتمة صورة البعث:

يعيد الله الذرات التي استحيلت، ويُنشّئ الله الخلق تنشئة قوية، فإذا تم خلقهم أمر الله إسرافيل، فنفخ في الصور النفخة الثانية، فتتطاير الأرواح إلى أجسادها فتدخل كل روح في جسدها، فيقوم الناس من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم؛ حُفاة لا نعال عليهم؛ عُراة لا

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبأ: ١٨]: زُمَرًا، رقم: (٤٩٣٥)، ومسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم: (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، رقم: (٢٩٤٠).

ثياب عليهم، غُرلا غير مختونيين كل شخص بصره إلى السماء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**»(١).

فكل شخص بصره إلى السماء، لا ينظر أحد إلى أحد، فالأمر عظيم، فإن الإنسان في الدنيا إذا ذهل لا يراك وأنت أمامه، فكيف يكون ذهول الناس يوم القيامة؟! قال الله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحَجّ: ١-٢].

فلا يمكن أن ينظر أحد إلى أحد في هذه الحالة، فكل مشغول بنفسه.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عَبَسَ: ٣٣-٣٧].

فالنفخة الأولى نفخة الصعق، والنفخة الثانية نفخة البعث، كما قال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر: ٦٨].

فلابد من الإيمان بالبعث، وأن الناس يبعثون، ومن لم يؤمن بالبعث فهو كافر بإجماع المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: كَيْفَ الحَشْرُ، رقم: (٦٥٢٧)، ومسلم: كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، رقم: (٢٨٥٩)، واللفظ له.

[٢٤] وأهل الكبائر في مشيئة الله ﷻ:

[٢٥] ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله ﷻ:

الشَّرْح

[٢٤] يتكلم المؤلف هنا عن حكم من فعل من أهل الإيمان كبيرة من الكبائر.

والكبائر جمع كبيرة.

وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة؛ فمنهم من قال: هي سبع، ومنهم من قال: سبعة عشرة، **وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما، **أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْكَبَائِرِ، سَبْعٌ هِيَ؟ قَالَ: هِيَ إِلَى السَّبْعِينَ أَقْرَبُ»**[(١)] ومنهم من قال: **«كُلُّ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ كَبِيرَةٌ»**[(٢)].

ومنهم من قال: **هي ذهاب الأموال والأولاد.**

وأصح ما قيل في تعريف الكبيرة: أنها: **كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة بالنار، أو اللعنة، أو الغضب.** كما جاء عن ابن عباس **«الْكَبَائِرُ كُلُّ ذَنْبٍ خَتَمَهُ اللَّهُ بِنَارٍ أَوْ غَضِبَ أَوْ لَعْنَةٍ أَوْ عَذَابٍ»**[(٣)].

فالذنب الذي ترتب عليه حد: كالسرقة؛ وحدها قطع اليد؛ فهي كبيرة، ومثل شرب الخمر؛ حده الجلد؛ فهو كبيرة، ومثل القذف؛ حده

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٨/ ٢٤٥).
(٢) المرجع السابق (٨/ ٢٤٤).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٢)، والكبائر للذهبي (١/ ٨)، والطبري في تفسيره (٨/ ٢٤٦).

الجلد؛ فهو كبيرة.

والذنب الذي ترتب عليه وعيد في الدنيا بالنار، أو اللعنة، أو الغضب: كالقتل، فقد توعد الله عليه بالنار، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٣]. فالقتل من كبائر الذنوب.

وكذلك آكل مال اليتيم، قد توعد الله عليه بالنار، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النِّسَاء: ١٠].

- وألحق بعضهم ما نُفي عن صاحبه الإيمان: مثل حديث: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»[(١)]، وحديث: «**وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ**» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ**»[(٢)]، وحديث: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»[(٣)].

- أو ما قال فيه النبي ﷺ: «**ليس منا**».

كقوله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**»[(٤)]؛ فيكون ضرب الخدود ودعوى الجاهلية من كبائر الذنوب، وقوله: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا**»[(٥)]؛ فيكون حمل

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الإِيمَانِ، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ،رقم: (١٣)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَدَبِ،بَابُ إِثْمِ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ،رقم: (٦٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري: كِتَاب المَظَالِم وَالغَصْبِ،بَابُ النُّهْبَى بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ،رقم: (٢٤٧٥)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٥٧).

(٤) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابٌ: لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ،رقم: (١٢٩٧)، واللفظ له، ومسلم: كِتَابُ الإِيمَانِ، رقم: (١٠٣).

(٥) أخرجه البخاري: كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢]، رقم: (٦٨٧٤)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٩٨).

السلاح على لمسلمين من كبائر الذنوب، وقوله: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»[(١)]؛ فيكون الغش من كبائر الذنوب.

ـ أو ما برئ منه النبي ﷺ:

كحديث: «**إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ**»[(٢)].

والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.

والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة.

والشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة.

فحد الكبيرة هو: ما ترتب عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة؛ بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، أو نفي عن صاحبه الإيمان، أو قال فيه النبي ﷺ: «**ليس منا**»، أو تبرئ منه النبي ﷺ.

فعقيدة أهل السنة والجماعة فيمن فعل الكبيرة وهو من أهل الإيمان، أنه في مشيئة الله.

[٢٥] **المراد بأهل القبلة** في قول المؤلف رحمه الله: (ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم...): أي من اتجه إلى القبلة في الصلاة، والذكر، والذبح، والتزم بإحكام الإسلام؛ فلا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ولو كان كبيراً ما لم يستحله، فإذا استحله ورأى أنه حلال؛كمن استحل الخمر فقال إنه حلال كفر؛ لأنه استحل أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

أو استحل الربا، أو استحل عقوق الوالدين وقطيعة الرحم، أو رأى أن الحكم بغير ما أنزل الله حلال؛ كالحكم بالقوانين الوضعية،

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٠١).
(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُنْهَى مِنَ الحَلْقِ عِنْدَ المُصِيبَةِ، رقم: (١٢٩٦)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (١٠٤).

ففي هذه الحال يكفر.

ـ فإن لم يستحله فيكون عند أهل السُّنَّة والجماعة: ضعيف الإيمان، ناقص الإيمان، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله، إن شاء الله غفر له بتوحيده وإسلامه وأدخله الجنة من أول وهلة، وإن شاء عذبه على قدر جرائمه، ثم يخرج من النار بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

فصاحب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة ناقص الإيمان؛ فلا يثبت له الإيمان المطلق، ولا ينفى عنه مطلق الإيمان؛ بل لابد من التقييد في النفي والإثبات، فلا يقال في صاحب الكبيرة كالزاني وشارب الخمر: أنه مؤمن بإطلاق؛ بل يقال: مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو مؤمن عاص، أو مؤمن ناقص الإيمان.

وكذلك لا ينفى عنه الإيمان، فلا يقال: ليس بمؤمن؛ بل لابد من القيد، يقال: ليس بمؤمن حق،أو ليس بصادق الإيمان.

فصاحب الكبيرة يسمَّى: مسلماً، ولا يسمَّى مؤمناً عند أهل السنة والجماعة، فلا يسمى مؤمناً بإطلاق، إنما يطلق اسم الإيمان على المؤمن الذي أدى الواجبات وترك المحرمات، فيقال: هذا مسلم، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هؤلاء هم المؤمنون حقا أدوا الواجبات وتركوا المحرمات.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ [الحُجرَات: ١٥].

هؤلاء هم الصادقون في إيمانهم.

فالمستقيم على طاعة الله، المنتهي عما حرم الله عليه؛ يسمى مؤمناً بإطلاق، ومسلماً بإطلاق.

أما المؤمن العاصي الذي ارتكب الكبيرة، كالزنا أو السرقة، أو شرب الخمر، أو عقوق الوالدين، أو قطيعة الرحم، أو تعامل بالربا ولم يتب؛ فهذا لا يسمى مؤمناً بإطلاق، ولا يُثبت له الإيمان بإطلاق، ولا ينفى عنه الإيمان بإطلاق، ولكن يثبت له الإسلام فيقال: مسلم.

فإذا قلت عن السارق عند أهل السنة والجماعة: مؤمن؛ تكون قد أخطأت، وإذا قلت: ليس بمؤمن؛ تكون أخطأت أيضا؛ ولكن قيد في الإثبات أو في النفي، **فتقيد في الإثبات فتقول**: مؤمن ناقص الإيمان، أو ضعيف الإيمان، أو مؤمن عاص، أو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته.

وفي النفي قيد أيضاً، فلا تقل: ليس بمؤمن؛ بل قل: ليس بمؤمن حقا، ليس بصادق الإيمان. **فهذا حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا.**

ـ حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة:

حكمه في الآخرة أنه إذا تاب في الدنيا توبة نصوح تاب الله عليه، وأما إذا لم يتب فهو تحت مشيئة الله:

١ ـ قد يعذب في القبر كما في حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[(١)].

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الوُضُوءِ،بَابُ مَا جَاءَ فِي غَسْلِ البَوْلِ،رقم: (٢١٨)، واللفظ له، ومسلم: كِتَابِ الطَّهَارَةِ،رقم: (٢٩٢).

٢ ـ قد تصيبه أهوال وشدائد يوم القيامة.

٣ ـ قد يستحق دخول النار، ثم يشفع فيه فلا يدخلها.

٤ ـ قد يدخل النار ثم يعذب بقدر جرائمه ومعاصيه، وقد يغفر الله له، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨] فيغفر الله له فلا يعذب فيغفر له بدينه وتوحيده وإسلامه.

٥ ـ قد يعذب مدة ثم يشفع فيه نبينا ﷺ، أو الأفراط، فيشفعهم الله فيخرج من النار.

وقد سبق لنا أن النبي ﷺ يشفع أربع شفعات أربع مرات، في كل مرة يحد الله له حدا فيخرجهم من النار[1]، وهم عصاة الموحدين أهل الكبائر؛ فهذا مات على الغيبة، وهذا مات على النميمة، وهذا مات على عقوق الوالدين، وهذا مات على قطيعة الرحم، وهذا مات على التعامل بالربا، وهذا مات على الزنا من غير توبة، وهذا مات على السرقة، وهذا مات على النياحة من غير توبة، وبعض العصاة يطول مكثه في النار بسبب كثرة جرائمه ومعاصيه، أو بسبب غلظها وفحشها، ولكن في النهاية لا بد أن يخرج من النار بإيمانه وتوحيد وإسلامه، ولا يبقى في النار إلا الكفرة؛ هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة في الدنيا؛ حكمه أنه يقام عليه الحد إن كان عليه حد، ولا يكفر.

فلا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، فإذا استحله واعتقد أنه حلال فقد كفر؛ لأنه يكون مكذب لله؛ كمن قال: إن الزنا حلال، والله يقول: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسرَاء: ٣٢].

(١) سبق تخريجه.

فإذا اعتقد حِلَّه فقد كذب الله، ومن كذب الله كفر، وإلا فإنه يكون مؤمناً عاصياً ناقص الإيمان، ضعيف الإيمان في الدنيا، وعليه الوعيد في الآخرة، وقد يعفى عنه وقد يعذب، ولكن لا يمكن أن يبقى في النار دائماً؛ بل لا بد أن يخرج مع عصاة الموحدين بالتوحيد والإيمان.

والمراد أن من مات على التوحيد الخالص، ولم يقع في عمله شرك أكبر ولا كفر أكبر، ولا نفاق أكبر، ولا ظلم أكبر ولا فسق أكبر، وإنما مات على كبيرة دون الشرك من غير توبة، فهو في الآخرة تحت مشيئة الله.

۞ مذهب أهل البدع في مرتكب الكبيرة:

أما أهل البدع فإن عقيدتهم في أهل الكبائر على طرفي نقيض؛ فالخوارج والمعتزلة على طرف، والمرجئة على طرف:

الطائفة الأولى: **الخوارج**؛ يرون أن مرتكب الكبيرة كافر، حلال الدم والمال، فيكفرونه ويستحلون دمه وماله؛ لأنهم أخذوا النصوص التي جاءت في الكفار فوضعوها على العصاة من الموحدين، فكفروهم بذلك، فقالوا: إذا فعل الإنسان الكبيرة خرج من الإيمان ودخل في الكفر؛ فالزاني عندهم كافر، والسارق كافر، وشارب الخمر كافر والمرابي كافر.

فكل مرتكب للكبيرة يكون عندهم كافر وهو مخلد في النار.

وأنكروا الشفاعة، مع أن نصوص الشفاعة في أهل الكبائر متواترة، ومع ذلك أنكروها وقالوا: يجب على الله أن يعذب مرتكب الكبيرة ويخلده في النار، ويعتقدون أنه مخلد في النار كالكفار نعوذ بالله من ذلك.

وقد يقولون: إنه في درجة دون درجة الكفار، لكن هو مخلد في النار، ـ والعياذ بالله ـ.

وشبهتهم: النصوص التي ورد فيها الوعيد لمرتكب الكبيرة، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النِّسَاء: ٩٣] قالوا: هذا دليل على أن القاتل كافر ومخلد في النار.

ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النِّسَاء: ١٠]. قالوا من أكل مال اليتيم فهو كافر مخلد في النار.

ـ **جواب شبهتهم**: أهل السنة والجماعة يعتقدون أن هذا من باب الوعيد بالنار، فلا يلزم من هذا أن يكون كافرا، فهو متوعد بالنار فقد يَنْفُذ فيه الوعيد، وقد لا ينفذ فيه الوعيد، لكن لابد أن يدخل النار جملة من أهل الكبائر.

مسألة: **كوننا نحكم على هذا الشخص المرتكب للكبيرة بعينه أنه معذب؛ فإننا لا نجزم بذلك:**

١ ـ فقد يعفو الله عنه.

٢ ـ وقد يكون مثلا معذوراً بجهله.

٣ ـ وقد يكون له حسنات ماحية تمحو هذه الكبيرة.

٤ ـ وقد يصاب بالمصائب والأمراض والنكبات التي يكفر الله بها عنه هذه الكبيرة.

لكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء، كما أننا لا نشهد لمؤمن بعينه أنه في الجنة؛ إلا من شهدت له النصوص، أما فلان ابن فلان لا نشهد له، وإن كان مستقيماً على طاعة الله، فإننا لا ندري ما حاله، الله هو الذي يعلم السرائر والظواهر.

فإذا رأينا الشخص مستقيماً على طاعة الله نرجو له الخير، ونرجو

له دخول الجنة، ولا نجزم.

وإذا رأينا الشخص من أهل القبلة يفعل المعاصي والكبائر، فإنا نخاف عليه من النار، ولا نجزم بأنه يعذب في النار، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة؛ فإنهم يرجون للمحسن ويخافون على المسيء، أما الخوارج فيكفرون صاحب الكبيرة ويخلدونه في النار، يقولون خرج من الإيمان ودخل في الكفر ـ والعياذ بالله ـ.

ويقال للخوارج: لو كان مرتكب الكبيرة كافر لوجب قتله؛ فشارب الخمر يجلد ولا يقتل، فلو كان كافراً كما تقولون لوجب قتله؛ لأن المرتد يقتل لقول النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١).

ولو كان مرتكب الكبيرة كافرا لما ورث من أقاربه المسلمين، والمرتكب يرث ويورث، ولما ورثه المسلمون إذا مات، فإنه يرثه أبوه وجده، ويرثه أبناؤه، أو يرثه إخوته إن لم يكن له أبناء، لو كان كافراً لم يورث، فالمسلم لا يرث الكافر، والكافر لا يرث المسلم.

الطائفة الثانية: **المعتزلة**؛ يوافقون الخوارج في كونه مخلد في النار، لكنهم يخالفونه في التكفير، **فيقولون**:

إن مرتكب الكبيرة خرج من الإيمان، لكنه لم يدخل في الكفر، فصار في منزلة بين المنزلتين؛ منزلة بين الإيمان والكفر،ويسمونه فاسق، لا مؤمن ولا كافر، وفي الآخرة يوافقون الخوارج على أنه مخلد في النار.

ـ من ثمرة الخلاف بين المعتزلة والخوارج في الدنيا:

أن الخوارج يكفرونه ويستحلون دمه وماله، والمعتزلة لا يستحلون دمه وماله؛ لأنه لم يدخل في الكفر؛ فخرج من الإيمان ولكنه لم يدخل في الكفر.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابٌ: لَا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ، رقم: (٣٠١٧).

وهم في الآخرة متفقون على تخليده في النار، وهذا باطل مصادم للنصوص.

الطائفة الثالثة: **المرجئة**؛ الذين يقولون: إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان، والمرجئة كما سبق طبقات؛ فيهم المرجئة المحضة الغلاة وهم الجهمية الذين يرون أن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، ولو فعل جميع الكبائر والمنكرات، بل هو مؤمن كامل الإيمان، فهم عكس الخوارج.

حتى لو فعل أنواع الردة كلها،فما دام أنه يعرف ربه بقلبه فهو مؤمن كامل الإيمان، فهم عكس الخوارج.

وأما في الآخرة فإن غلاتهم يقابلون الخوارج والمعتزلة.

فإذا كان الخوارج والمعتزلة يقولون إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار؛ لأنه خرج من الإيمان، فإن المرجئة الغلاة يقولون إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ويدخل الجنة من أول وهلة، فهم على طرفي نقيض.

شبهتهم: نصوص الوعد التي فيها ترتيب الثواب على الموحد **مثل**:

١ ـ حديث: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(١)]، وحديث البطاقة، **قالوا**:

هذا دليل على أنه إذا نطق بالشهادتين فإنه يكفيه ذلك، ويدخل الجنة من أول وهلة.

٢ ـ حديث: «**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»[(٢)].

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢٦)

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ المَسَاجِدِ فِي البُيُوتِ، رقم: (٤٢٥)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٣٣).

٣ ـ حديث: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ**»[(١)].

٤ ـ حديث: «**من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة**»[(٢)].

٥ ـ حديث: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[(٣)].

٦ ـ حديث: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ**»[(٤)].

فاستدلوا بنصوص الوعد على أن الكبائر وشعب الكفر لا تضر الإيمان ولا تؤثر فيه،فما دام أنه مصدق فهو مؤمن كامل الإيمان، ويدخل الجنة من أول وهلة.

ـ **جواب شبهتهم**: يرد عليهم بنصوص الوعيد؛ فإن نصوص الوعد تدل على بقاء الإيمان معهم؛ ونصوص الإيمان تدل على أن الإيمان يضعف وينقص، فقولكم: لا يتأثر إيمانه هو كامل الإيمان باطل ترده النصوص.

❖ ❖ ❖

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الحِرْصِ عَلَى الحَدِيثِ، رقم: (٩٩).
(٢) أخرجه البخاري (٩٩).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٢٢٠٠٣).
(٤) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٢٣).

خلاصة الباب:

الخوارج والمعتزلة يقولون: إن مرتكب الكبيرة كافر يخرج من ملة الإسلام، ويستحلون دمه وماله، وهو مخلد في النار.

والمرجئة يقولون: إنه مؤمن كامل الإيمان، وهو في الجنة.

هؤلاء احتجوا بنصوص الوعيد، وهؤلاء احتجوا بنصوص الوعد، فهم أهل زيغ وضلال.

والقاعدة: أن أهل الزيغ والضلال يأخذون ببعض النصوص ويتركون الآخر، **فالخوارج والمعتزلة** أخذوا بنصوص الوعيد، لكنهم أغمضوا أعينهم عن نصوص الوعد، **والمرجئة** أخذوا بنصوص الوعد وأغمضوا أعينهم عن نصوص الوعيد، فأخذوا ببعض النصوص وتركوا البعض الآخر، وهذا علامة الزيغ وهو أنهم يأخذون بالمتشابه ويتركون المحكم، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾ [آل عِمرَان: ٧].

وثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **«إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»**[(١)].

وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى الحق، فعملوا بنصوص الوعد وبنصوص الوعيد، فأخذوا نصوص الوعيد التي استدل بها الخوارج، فصفعوا بها وجوه المرجئة وأبطلوا مذهبهم، وأخذوا نصوص الوعد

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، رقم: (٤٥٤٧)، ومسلم: كتاب الْعِلْمِ،رقم: (٢٦٦٥).

التي احتج بها المرجئة، فصفعوا بها وجوه الخوارج،فأبطلوا مذهبهم، فبطل مذهب الخوارج بأدلة المرجئة،وبطل مذهب المرجئة بأدلة الخوارج.

وعمل أهل السنة بالنصوص من الجانبين،فأخذوا نصوص الوعيد التي استدل بها الخوارج، وقالوا: هذه حق وهي دليل على أن الكبيرة تضعف الإيمان وتنقصه وتؤثر فيه، لكنه لا يكفر بذلك، بدليل نصوص الوعد.

وأخذوا نصوص الوعد التي استدل بها المرجئة على أن الكبائر لا تقضي على الإيمان بالمرة، ولا يكفر صاحبها، ولكنها تؤثر في الإيمان، بدليل نصوص الوعيد.

فخرج مذهب أهل السنة صافياً نقياً من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين.

ومعنى قوله: (وأهل الكبائر في مشيئة الله) يعني: تحت مشيئة الله، نقول: لا نجزم بأنهم يعذبون أو لا يعذبون، فإننا لا ندري عن هذا، فأمره إلى الله ﷻ، والدليل على أنهم في مشيئة الله ﷻ قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّسَاء: ٤٨].

فالله تعالى خص وعلق الشرك بأنه لا يغفر، وعلق ما دونه على المشيئة، فأهل الكبائر إذا ماتوا من غير توبة ولقوا الله من غير توبة،فهذا أمرهم إلى الله؛ منهم من يغفر الله له، ومنهم من لا يغفر له، ومنهم من يعذب.

وهذا إلى الله ﷻ قد يغفر الله له لأهل الكبائر بالتوحيد والإيمان والإسلام، وقد يعذّب صاحب الكبيرة، وقد يسلم من العذاب بسبب

عذاب القبر، فيسلم من العذاب في الآخرة من الأهوال والشدائد، وقد يعذب في النار لكنه لا يخلد فيها، ولهذا قالا رحمهما الله: (ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم) أهل القبلة ـ كما سبق ـ من صلى إلى القبلة واتجه إلى القبلة في الصلاة والتزم بأحكام الإسلام في الظاهر، ثم فعل كبيرة لا نكفره؛ فلا نقول انه كافر، بل نكل سرائرهم إلى الله ﷻ، إذ السرائر لا يعلم بها إلا الله ﷻ.

[٢٦] ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان:

[٢٧] ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة:

الشَّرْح

[٢٦، ٢٧] أي: نعتقد فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان، سواء كانوا أبرار أو فجاراً.

فعقيدة أهل السنة والجماعة عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي وإقامة الحج والجهاد مع إمام المسلمين والخليفة، ورئيس الدولة، ولا يجوز الخروج على ولي الأمر بالمعاصي عند أهل السنة والجماعة، بل يجب السمع والطاعة له في طاعة الله ﷻ، وفي الأمور المباحة، أما المعاصي فلا يطاع فيها أحد.

فأهل السُّنَّة والجماعة يرون أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، فإذا فعل ولي الأمر معصية أو كبيرة، فلا يجوز الخروج عليه لإنكار هذه المعصية، ولكن النصيحة تكون مبذولة من أهل الحَلِّ والعَقْدِ، ومن أهل العلم وأهل البصيرة، فيقدمون النصيحة بأسلوب مناسب لولاة الأمور، فإن قبلوا فالحمد لله، وإن لم يقبلوا فقد أدى الناس ما عليهم؛ قال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، وَتَرَوْنَ أَثَرَةً**»، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا يَصْنَعُ مَنْ أَدْرَكَ ذَاكَ مِنَّا؟ قَالَ: «**أَدُّوا الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَسَلُوا اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ**»[(١)].

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: (٣٦٤٠).

وقال للأنصار: «**سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»[(١)].

فمن عقيدة أهل السنة والجماعة: عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي والكبائر والظلم، بل الواجب أن يصبر المسلم على جور الولاة وظلمهم، ولا يجوز له الخروج عليهم، لأن الخروج على ولي الأمر ومنابذته يؤدي إلى مفاسد كبيرة، فإذا كان ولي الأمر يعمل المعاصي أو يشرب الخمر، أو يظلم بعض الناس، أو قتل بعض الناس بغير حق، أو سجن بعض الناس بغير حق، أو أخذ ماله؛ فإن ذلك لا يوجب كفره، فلا يجوز الخروج عليه، ولا نزع اليد من طاعته؛ إذ أن الخروج عليه ونزع اليد من طاعته من كبائر الذنوب، كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[(٢)].

فإذا مات وقد خلع وليَّ الأمر ولم يكن في عنقه بيعة، فميتته ميتة جاهلية، وهذا وعيد شديد يدل على أنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، وذلك أن الخروج على ولاة الأمور لإنكار المنكر يترتب عليه منكر أعظم وأشد من المنكر الذي ارتكبه، فأنت الآن تريد أن تنكر المنكر على ولي الأمر، كإنكار شرب الخمر أو إنكار ظلم بعض الناس، أو وجود بعض المعاصي والمنكرات، إذا أنكرت عليه بالخروج عليه حصلت مفسدة أكبر وذلك أن وليَّ الأمر لا يترك من يخرج عليه بل يقاتله، فيحصل من ذلك إراقةُ الدماء واختلالُ الأمن،

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»، رقم: (٣٧٩٢)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٤٥).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا**»، رقم: (٧٠٥٤)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٤٩).

وتربصُ الأعداءِ الدوائرَ بالمسلمين، واختلالُ أحوال الناس المعيشية من الاقتصاد والزراعة والتجارة والتعليم، ويحصل فتن تقضي على الأخضر واليابس لا أول لها ولا آخر.

أيهما أعظم وأشد: مفسدة ظلم بعض الناس أو وجود بعض المعاصي، أم مفسدة إراقة الدماء واختلال الأمن وتدخل الأعداء والدول الأجنبية وحصول الفوضى والاضطراب؟

لا شك أن الأشد هو: الخروج على ولي الأمر.

ـ **وقاعدة الشريعة**: أنه إذا وجد مفسدتان لا يمكن دفعهما معا، فإننا نرتكب المفسدة الصغرى وندفع بها الكبرى، فعندنا الآن مفسدة صغرى ومفسدة كبرى لا نستطيع دفعهما؛ فالمفسدة الصغرى كالظلم أو الفسق من بعض الولاة، أو قتل بعض الناس بغير حق، أو ظلم بعض الناس، أو حصول بعض المعاصي؛ كالتبرج أو الربا، أو غير ذلك.

لكن في الخروج على ولاة الأمر تحصل مفسدة أكبر، وهي: إراقة الدماء واختلال الأمن والفوضى والاضطراب والنهب والسلب.

فلا ترتكب المفسدة الكبرى لأجل دفع الصغرى، ولهذا توعد النَّبِيّ ﷺ من خرج على ولاة الأمور بهذا الوعيد الشديد، وأنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب.

الواجب عند رؤية المنكر:

إذا رأيت منكراً فإنك مأمور بإنكاره؛ قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، رقم: (٤٩).

لكن هذا المُنْكَر الذي تريد أن تغيره له أحوال:

الحالة الأولى: أن يزول هذا المنكر بدون منكر، **فهذا مطلوب أن تزيله بما تستطيع بيدك، أو بلسانك.**

الحالة الثانية: أن يزول هذا المنكر، لكن يحل محله منكر أشد منه، **فهذا لا تنكره.**

الحالة الثالثة: أن يزول المنكر لكن يحِل محله منكر أخف، **فهذا تنكره.**

الحالة الرابعة: أن يزول هذا المنكر ويحل محله منكر مثله، **فهذا محل تأمل.**

والخروج على ولاة الأمور من النوع الأول؛ إذ أن الخروج على ولاة الأمور بسبب المعاصي، أو الظلم يترتب عليه منكر أشد، فلا يجوز الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي، ولكن النصيحة تبذل لهم سراً وبأسلوب مناسب، وإذا كنت لا تستطيع ذلك، فبلِّغ أهل العلم.

لكن النصيحة مبذولة من قبل أهل العلم وأهل الحَلِّ والعقد، فإن قبلوا فالحمد لله، وإن لم يقبلوا فقد أدى الإنسان ما عليه.

❖ ❖ ❖

۞ مذهب أهل البدع في الخروج على ولي الأمر:

الطائفة الأولى: **الخوارج،** يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي؛ لأن ولي الأمر إذا فعل كبيرة كفر عند الخوارج، فيجب قتله، ويجب خلعه من الإمامة وإزالته؛ لأنه كافر، وهذا مذهب باطل مصادم للنصوص.

الطائفة الثانية: **المعتزلة،** يرون الخروج على ولاة الأمر

بالمعاصي، **فالمعتزلة عندهم أصول الدين خمسة:**

التوحيد والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، **وكل أصل من هذه الأصول بنوا تحته معنى فاسدا.**

فالتوحيد ستروا تحته معنى فاسدا وهو القول بنفي الصفات، والقول بأن القران مخلوق، وأن الله لا يرى في الآخرة، والقول بأن الله لا يخلق المعاصي.

والمنزلة بين المنزلتين وهي أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر، فيكون في المنزلة بين المنزلتين.

وإنفاذ الوعيد وهو أنه يجب على الله أن يعذب العاصي ولا يعفو عنه ويخلده في النار.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستروا تحته الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي يسمونه النهي عن المنكر.

فإذن المعتزلة يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، لأنه أصل من أصولهم.

الطائفة الثالثة: **الرافضة**، يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي؛ لأنهم يرون أن الإمامة لا تكون إلا للإمام المعصوم، **فهم يقولون:**

لا إمامة إلا للمعصوم من الأئمة الاثني عشر الذي نص عليهم النبي ﷺ: علي ابن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، إلى آخرهم.

فهؤلاء معصومين من الخطأ فإذا كان ولي الأمر غير هؤلاء الاثني عشر، فإن إمامتهم باطلة عند الرافضة، ويجب قتله وخلعه وإزالته من الإمامة؛ لأن الإمامة لا تكون إلا للإمام المعصوم.

وهل هناك أحد معصوم؟

الجواب: ليس هناك أحد معصوم إلا الأنبياء فيما يبلغون عن الله؛ فهم معصومون عن الشرك والكبائر.

فإذن الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي مذهب من مذاهب أهل البدع، فهو مذهب الخوارج والمعتزلة والرافضة.

أما أهل السنة فلا يرون الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي، بل يرون الصبر على ولاة الأمور، ولهذا فان أهل السنة حينما يكتبون عقائدهم يقولون فيها: وَلَا نَرَى الْخُرُوجَ عَلَى أَئِمَّتِنَا وَوُلَاةِ أُمُورِنَا، وَإِنْ جَارُوا، وَلَا نَدْعُو عَلَيْهِمْ، وَلَا نَنْزِعُ يَدًا مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَنَرَى طَاعَتَهُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرِيضَةً، مَا لَمْ يَأْمُرُوا بِمَعْصِيَةٍ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَالْمُعَافَاة، وذلك في كل عقيدة تكتب.

وصية:

ينبغي للشباب الذي يكون عندهم تحمس في إزالة المنكرات أن لا يكون عندهم اندفاع يؤدي بهم إلى عقيدة الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي، ثم يؤدي به الحال إلى أن يستحلا الدماء والأموال.

فالخوارج كَفّروا أولاً، ثم استحلوا الدم والمال ثانياً، فاستحلال الدم ناشئ عن التكفير ـ نسأل الله السلامة والعافية ـ كما فعل الخوارج في عهد الصحابة، فإنهم كفروا الصحابة وقتلوهم وأراقوا دمائهم، فقتلهم الصحابة، فكفروا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكفروا عثمان رضي الله عنه وكفروا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وغيرهم، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء بسبب هذه العقيدة الخبيثة والشبهة التي حصلت لهم وهي التكفير بالمعاصي.

قالا رحمهما الله: (ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان) يعني: براً كان أم فاجراً؛ لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلابد من سايس يسوس فيهما، فالإمام يقيم الحج للناس ولو كان عنده بعض المعاصي، ولو كان عنده بعض الفسق.

فأهل السُّنَّة والجماعة يرون إقامة الحج مع ولي الأمر براً كان أو فاجراً، وكذلك يرون الجهاد مع ولي الأمر، فإذا جاهد الكفار فيقاتلون معه ولو كان عنده بعض المعاصي، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

الخلاصة:

أهل السنة والجماعة يجاهدون مع ولي الأمر ويحجون معه ولو كان فاسقا، ولو كان ظالما، ولا يرون الخروج عليه بالمعاصي، بل يصبرون على جوره وظلمه مع النصيحة من أهل الحل والعقد، ولا يخرجون على الأئمة كما يراه المعتزلة والخوارج والرافضة.

[٢٨] ونسمع ونطيع لمن ولاه الله ﷻ أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة:

الشَّرْح

[٢٨] المعنى أننا نسمع ونطيع له في طاعة الله، **فيُطاع ولاة الأمور في أمرين:**

١ ـ في طاعة الله.

٢ ـ في الأمور المباحات.

أما المعاصي فلا يطاع أحد فيها، فإذا أمرك الأمير بالمعصية أن تشرب الخمر، فلا تطعه، لقول النبي ﷺ: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)].

لكن ليس معنى ذلك أنك تخرج عليه؛ وإنما لا تطيعه في المعاصي فقط، لكن لا تنزع يداً من طاعة ولا تخرج عليه ولا تقاتله.

فالمعاصي لا يطاع فيها أحد؛ فإذا أمرك والدك بالمعصية وقال لك: أعطني كأس الخمر، أو طلب منك أن تشتري له دخان، فلا تطعه ولو كان، لكن ليس معنى ذلك أن تتمرد على والدك وتَعُقَّه وتؤْذِيْه؛ لأنه أمرك بمعصية بل تتلطف معه، وتقول: يا والدي لا يجوز أن أطيعك في هذا، فهذه معصية ويحرم علي أن أطيعك، ولا يمكن أن اشتري

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَخْبَارِ الآحَادِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِجَازَةِ خَبَرِ الوَاحِدِ الصَّدُوقِ فِي الأَذَانِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ وَالفَرَائِضِ وَالأَحْكَامِ، رقم: (٧٢٥٧)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٤٠).

لك دخان، لأنه محرم. وتطيعه فيما سوا ذلك.

كذلك الزوجة إذا أمرها زوجها بالمعصية فلا تطيعه، والعبد إذا أمره سيده بالمعصية فلا يطيعه، **فلا أحد يطاع في المعاصي**، لقول النبي ﷺ كما في الحديث المتقدم: «**لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**».

كذلك أمير السرية إذا أمر بالمعصية فلا يطاع، فقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ بعث سرية وأمر عليهم رجلا من الأنصار، وأمرهم أن يطيعوه، فغضب عليهم وقال: أليس قد أمر النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا: بلى. قال: عزمت عليكم لما جمعتم حطبا وأوقدتم نارا ثم دخلتم فيها، فجمعوا حطبا فأوقدوا، فلما هموا بالدخول فقام ينظر بعضهم إلى بعض، قال بعضهم: إنما تبعنا النبي ﷺ فرارا من النار، أفندخلها؟! فبينما هم كذلك إذ خمدت النار وسكن غضبه، فذكر للنبي ﷺ فقال: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا أَبَدًا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ**»[(١)].

هذا فيه وعيد شديد، فإنهم لو دخلوا في النار لاستمر بهم عذاب الآخرة بعذاب الدنيا، لو دخلوها ما خرجوا منها. فهذا أمير السرية أمرهم بمنكر فقال لهم: احرقوا أنفسكم بالنار.

لكن عدم الطاعة في المعاصي ليس معناه الخروج؛ لأن الخروج يترتب عليه مفاسد عظيمة، ويترتب عليه منكر عظيم، من إراقة الدماء واختلال الأمن، والفساد؛ فلا ينكر المنكر بمنكر أعظم منه.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَحْكَام، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، رقم: (٧١٤٥)، واللفظ له، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٤٠).

ومن أمثلة ذلك ـ أنه إذا ترتب على إنكار المنكرِ منكرٌ أشد فإنه لا ينكر ـ ما ذكره الإمام ابن القيم : عن شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية، في زمن التتر الذين هجموا على المسلمين وقتلوهم واستولوا على بغداد، وكانت عاصمة الدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وحاضرة العالم وأم الدنيا، سلط عليهم هؤلاء التتر، فسقطت الدولة العباسية، وجاء هؤلاء التتر وقتلوا وأراقوا الدماء.

حتى إنه قتل في اليوم الواحد ما يقرب من مليون أو مليوني شخص، حتى صارت الجثث كالجبال ـ والعياذ بالله ـ، وجعلوا ينتقلوا من بلد إلى بلد يقتلون أهلها ثم يحرقونها.

خرج شيخ الإسلام ابن تيمية وقت سيطرة التتار هو وتلاميذ له، فمروا بقوم من التتر يشربون الخمر، فأراد بعض تلاميذ الشيخ أن ينكر عليهم، فقال الشيخ: لاتنكر عليهم، اتركهم يشربون الخمر، فقال: لم؟ قال: إن هؤلاء يشتغلون بشرب الخمر عن قتل المسلمين، فلو أنكرت عليهم لتفرقوا لقطع الرقاب وقطع الرؤوس، وقتل الناس[١].

(١) ذكره ابن القيم في إعلام الموقعين (٣/ ٥).

[٢٩] ونتبع السنة والجماعة:

[٣٠] ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة:

الشَّرح

[٢٩] عقيدة أهل السنة والجماعة إتباع السنة بالعمل بها، ولزوم جماعة المسلمين وإمامهم، كما في حديث حذيفه رضي الله عنه أنه قال: **كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**[(١)].

فأمره النبي ﷺ بالعمل بالسنة ولزوم الجماعة.

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ، رقم: (٣٦٠٦)، واللفظ له، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٤٧).

[٣٠] أي: لا تكن شاذاً عن الجماعة، ولا مخالفاً ولا مفرِّقاً بين المسلمين، بل اجتنب الشذوذ والخلاف المؤدي إلى الفرقة، لذا قال النبي ﷺ: «**فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ**»(١).

فلا تكن شاذاً ولا مخالفا للجماعة، فتخرج على ولاة الأمور، بل اتبع السُّنَّة والجماعة، فيد الله مع الجماعة؛ هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي التَّشْدِيدِ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، رقم: (٥٤٧)، والنسائي: كِتَابُ الْإِمَامَةِ، التَّشْدِيدُ فِي تَرْكِ الْجَمَاعَةِ، رقم: (٨٤٧).

[٣١] وأن الجهاد ماض منذ بعث الله نبيه إلى قيام الساعة مع ولي الأمر من أئمة المسلمين؛ لا يبطله شيء:

الشَّرح

[٣١] أي: أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يجاهدون مع ولي الأمر، ولو كان عاصياً أو فاسقاً أو ظالماً؛ كما في الحديث: «**وَالْجِهَادُ مَاضٍ مُنْذُ بَعَثَنِي اللَّهُ إِلَى أَنْ يُقَاتِلَ آخِرُ أُمَّتِي الدَّجَّالَ لَا يُبْطِلُهُ جَوْرُ جَائِرٍ، وَلَا عَدْلُ عَادِلٍ**»[(١)]. فالدجال يقاتله آخرُ هذه الأمة بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام يقاتلون مع عيسى فيقتله عيسى عليه الصلاة والسلام، ويطلبه في باب لُدّ في فلسطين فيقتله، فإذا رأى المسيح ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو ترك لذاب لكن يقتله عيسى عليه الصلاة والسلام.

فالجهاد وقتال الكفار ماض مستمر؛ وفي الجهاد لإعلاء كلمة الله مصالح عظيمة؛ **منها**:

١ ـ أنه من أفضل القربات إلى الله، فهو ذروة سنام الإسلام، وفضله كبير وعظيم.

٢ ـ يقول النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»[(٢)].

٣ ـ وفي صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**

(١) أخرجه أبو داود: كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْغَزْوِ مَعَ أَئِمَّةِ الْجَوْرِ، رقم: (٢٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ،بَابُ الغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَابِ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، رقم: (٢٧٩٢)، ومسلم: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، رقم: (١٨٨٠).

خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»(١).

٤ ـ الشهيد الذي يقتل في سبيل الله يأمن من الفتن، ويجري عليه رزقه.

٥ ـ اتساع رقعة الإسلام لنشر دين الله.

٦ ـ وهو خير للكفار من وجهين:

أ ـ لأنهم لو استمروا على كفرهم لماتوا على الكفر وزاد عذابهم فالجهاد فيهم خير لهم؛ لأن الكافر إذا قوتل فأسلم سلم من النار.

ب ـ إذا قتل أيضاً خف عذابه على الكفر؛ لأنه لو استمر لعاش على الكفر فزاد عذابه، فقتله فيه تخفيف له من العذاب.

ـ كذلك الحج ماضٍ مع ولاة الأمور أبرارا كانوا أم فجارا، يقيمون للناس حجهم، ولو كان عندهم بعض الفجور وبعض الفسق، ففجورهم وفسقهم على أنفسهم.

فالجهاد فضله عظيم ومستمر إلى قرب قيام الساعة، يمضيه أهل السنة والجماعة مع ولاة الأمور من أئمة المسلمين أبرار كانوا أم فجارا، لا يبطله شيء.

فالمسلمون يحجون معهم ويجاهدون معهم، ولو كان عندهم بعض المخالفات وبعض المعاصي.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ،بَابُ فَضْلِ رِبَاطِ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رقم: (٢٨٩٢).

[٣٢] ودفع الصدقات من السوائم إلى ولاة الأمر من أئمة المسلمين:

الشَّرْح

[٣٢] **من عقيدة أهل السنة والجماعة** دفع الصدقة إلى ولي الأمر إذا طلب دفع الصدقة إليه، فولي الأمر يرسل العمال إلى الناس يأخذون الزكاة، سواء من أهل الفلاحة أصحاب الحبوب والثمار، أو من أهل الذهب والفضة، أو من أهل السوائم.

والسوائم: جمع سائمة، **وهي**: الماشية التي ترعى في البر أكثر الحول ولا تعلف، فيقال لها: سائمة؛ سواء من الإبل، أو البقر، أو الغنم.

فإذا بلغت النصاب فإن الإنسان يدفع زكاتها.

فنصاب الإبل خمس.

ونصاب البقر ثلاثين.

ونصاب الغنم أربعين.

فإذا كان عندك خمس من الإبل ترعى في البر أكثر الحول، فإنك تدفع شاة إذا أرسل ولي الأمر عامل الصدقة وتعطيه إياها.

وإذا كان عندك ثلاثين من البقر ترعى في البر أكثر الحول، ففيها الزكاة وهي تبيع أو تبيعة، وهو ما له سنة.

وكذلك إذا كان عندك أربعين من الغنم وحال عليها الحول وهي ترعى من البر، ففيها الزكاة وهي شاة واحدة.

فإذا أرسل ولي الأمر يطلب دفع الصدقات من السوائم، فعليك أن تدفع إليه الصدقات، أي صدقات الفريضة، **وذلك أن الصدقات نوعان:**

١ ـ فريضة.

٢ ـ نافلة.

وصدقة الفريضة هي الزكاة، كما قال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠﴾ [التّوبَة: ٦٠].

أما إذا كانت الإبل والبقر والغنم كانت تعلف ولا ترعى أكثر الحول، فهذه ليس فيها زكاة سوم، وإنما فيها زكاة عروض التجارة، فإذا أعددتها للبيع فإنك تزكيها، ولو كانت واحدة إذا كان ثمنها نصاب.

❊ فمن عقيدة أهل السنة والجماعة دفع الصدقات المفروضة ـ وهي الزكاة من السوائم وكذلك غير السوائم كزكاة الحبوب والثمار، والبز، وعموم الأشياء المعدة للبيع ـ إذا حال عليها الحول وبلغت النصاب وطلب ولي الأمر، فأرسل العمال فإن الزكاة تدفع إليهم، وتبرأ الذمة بذلك.

[٣٣] والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم:

[٣٤] ولا يدرى ما هم عند الله ﷻ:

الشَّرْح

[٣٣] الناس الذين التزموا بإحكام الإسلام واتجهوا إلى القبلة بالصلاة وحافظوا على الصلاة، والتزموا بأحكام الإسلام في الظاهر؛ هم مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، أي: يحكم عليهم بالإيمان في الدنيا، فتسلم عليه إذا لقيته وتجيب دعوته إذا دعاك، وتتبع جنازته إذا مات، وتزوره إذا مرض، وتعتبره أخاً لك تحسن إليه، وتدفع الإساءة عنه، وتطعمه إذا جاع، وتعلمه إذا جهل.

وكذلك إذا مات أقاربه من المسلمون يرثهم، وإذا مات يرثونه.

[٣٤] ولا يدرى ما هم عند الله ﷻ؛ لأن الله هو الذي يعلم السرائر، فإن هذا الشخص الذي أظهر الإيمان قد يكون منافقاً في الباطن، مكذباً بالله، فيكون في الآخرة في الدرك الأسفل من النار.

وفي الدنيا نحن لا نعلم السرائر، فنعاملهم معاملة المؤمن؛ فإذا مات يُغسَّل ويدفن في مقابر المسلمين، وإذا مرض يزار وتتبع جنازته، فإذا كان ملتزماً بإحكام الإسلام ولم يظهر شيء من الكفر، فإنه يعامل معاملة المسلمين؛ كما كان النبي ﷺ يعامل المنافقين معاملة المسلمين كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، دُعِيَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَثَبْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَى ابْنِ أُبَيٍّ وَقَدْ قَالَ

يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا؟ أُعَدِّدُ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «**أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ**» فَلَمَّا أَكْثَرْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: «**إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**» قَالَ: فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إِلَّا يَسِيرًا، حَتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِنْ بَرَاءَةٌ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ إلى: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التّوبَة: ٨٤][(١)].

فلم يصلِّ بعد ذلك على منافق، **والعلة**: أنهم كفروا بالله ورسوله، فمن عُلِم كُفْرُه فلا يصلى عليه، ومن لم يعلم كفره، فإنه يصلى عليه.

إذن الناس مؤمنون في الأحكام والمواريث، أما عند الله عز وجل فلا ندري، لأن الله هو الذي يعلم السرائر، فقد يكون أظهر الإيمان وهو كافر في الباطن، فالذي يعلم حاله هو الله ﷻ، فليس لنا إلا الظاهر.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى المُنَافِقِينَ، وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْمُشْرِكِينَ، رقم: (١٣٦٦)، واللفظ له، ومسلم: كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، رقم: (٢٤٠٠).

[٣٥] فمن قال إنه مؤمن حقا فهو مبتدع:

الشَّرْح

[٣٥] لأنه يزكي نفسه، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النّجم: ٣٢] فإذا قال الشخص: أنا مؤمن حقا، نقول له: من قال لك إنك مؤمن حقا؟! هل تزكي نفسك؛ هل أقمت الصلاة كما أمرك الله؟ هل أديت الزكاة كما أمر الله؟ هل يزيد إيمانك عند تلاوة القرآن؟ اسمع أوصاف المؤمنين حقا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

فمن قال: إنه مؤمن حقاً أنه مبتدع.

وكذلك من قال: إن فلاناً مؤمن حقاً؛ لأنه قال قولاً بغير علم؛ فإن هذه تعتبر شهادة له بالجنة، فإذا زكيته وقلت: إنه مؤمن حقّاً، معنى ذلك أنك شهدت له بالجنة، ولا يشهد بالجنة إلا لمن شهدت له النصوص، ولكن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وذلك أن شعب الإيمان متعددة، والواجبات كثيرة، فأنت لا تزكي نفسك، لأنك لا تدري هل أديت الواجب عليك، أو لا: فتقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وهذه المشيئة راجعة إلى أن الواجبات متعددة والإنسان لا يجزم بأنه أدى ما عليه.

بخلاف المرجئة يقول الواحد منهم: أنا مؤمن، ولا يستثني؛ بل إن بعضهم يقول: أنا مؤمن حقا، كإيمان أبي بكر وعمر، وكإيمان جبريل وميكائيل؛ هذا قول المرجئة.

فمن قال: أنا مؤمن حقا، فهو مبتدع؛ لأنه وافق المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو مجرد التصديق في القلب.

[٣٦] ومن قال: هو مؤمن عند الله؛ فهو من الكاذبين:

[٣٧] ومن قال: إني مؤمن بالله؛ فهو مصيب:

الشَّرْح

[٣٦] هو من الكاذبين؛ لأنه لا يدري هل صح إيمانه؛ وهل قبل الله أعماله أم لا، فما الذي أعلمك بما عند الله؟

[٣٧] من قال: أنا مؤمن بالله ورسوله فهذا مصيب، لكن من قال: أنا مؤمن حقا، فهذا مبتدع؛ لأنه زكى نفسه.

[٣٨] والمرجئة مبتدعة ضلال[١]:

الشَّرْح

[٣٨] المرجئة تقدم الكلام عليهم في مبحث الإيمان، **وأنهم أربع طوائف**:

الطائفة الأولى: **المرجئة الغلاة**، ـ وهم الجهمية ـ الذين يقولون: إن الإيمان هو معرفة الرب بالقلب، والكفر هو جهل الرب بالقلب.

وأما قول اللسان وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، فليست من الإيمان.

فيقال لهم أيضا: مرجئة الجهمية، **ويقال لهم**: المرجئة الغلاة، **ويقال لهم**: المرجئة المحضة.

الطائفة الثانية: **الكرامية**، الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان، ولو كان مكذباً في الباطن، فيُخلَّد في النار.

الطائفة الثالثة: **الماتريدية والأشاعرة**، الذين يقولون: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، وأما النطق باللسان وأعمال الجوارح فهو ركن زائد مطلوب، لكن ليس من الإيمان،وهذا القول مروي عن الإمام أبي حنيفة.

الطائفة الرابعة: **مرجئة الفقهاء**، الذين يقولون: إن الإيمان شيئان التصديق بالقلب والإقرار اللسان، والأعمال مطلوبة لكنها ليست داخلة في مسمى الإيمان.

---

(١) سبق الكلام على أقسام المرجئة.

وأهل الحق أهل السنة والجماعة يقولون: إن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وقولهما رحمهما الله: (والمرجئة مبتدعة ضُلَّال) **ينصرف إلى**: المرجئة الغلاة وإلى الكرامية والماتريدية والأشاعرة، **وأما مرجئة الفقهاء** فهم طائفة من أهل السنة، وإن كانوا يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان، لكنهم يرون أن الأعمال مطلوبة؛ فالواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، إلا أنهم لا يُدخلون الأعمال في مسمى الإيمان.

أما المرجئة المحضة الغلاة وهم الجهمية، فلا شك أنهم مبتدعة ضُلَّال، بل إن بدعتهم توصلهم إلى الكفر كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في الكافية الشافية:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في ... عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَانِ
واللَّالَكَائِيُّ الإمامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ ... بَلْ قَد حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبَرَانِي

فالمرجئة مبتدعة ضُلَّال، خالفوا الصراط المستقيم وابتعدوا عنه، **والبدعة هي**: الإحداث في الدين؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]، فالمرجئة أحدثوا في دين الله وقالوا إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان.

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم: كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، رقم: (١٧١٨) واللفظ له.

[٣٩] والقدرية مبتدعة ضلال:

[٤٠] ومن أنكر منهم أن الله ﷻ لا يعلم ما يكون قبل أن يكون فهو كافر:

الشَّرح

[٣٩] كما أن المرجئة مبتدعة ضلال فكذلك القدرية مبتدعة ضلال، وقد تقدم بيان أنهم **طائفتان**:

[٤٠] فالذي ينكر علم الله ﷻ بما يكون قبل أن يكون فهو كافر.

وهؤلاء هم **الطائفة الأولى**.

الطائفة الثانية: هم سائر القدرية الذين يؤمنون بعلم الله بالأشياء الكونية، ويؤمنون بالكتابة والإرادة والخلق، إلا أنهم يقولون إن الله لم يرد المعاصي؛ لم يردها قدرا، ولم يخلقها، وأن العبد هو الذي أرادها وخلقها مستقلا.

شبهتهم: نفي الظلم عن الله، فقالوا: لو قلنا أن الله أراد وخلق المعاصي ثم عذب عليها، لكان ظالماً، **ففرارا من ذلك قالوا**: إن المعاصي ما أرادها الله، ولا خلقها، ولا أوجدها، وإنما العبد هو الذي أرادها وخلقها وأوجدها.

فهؤلاء القدرية أيضا مبتدعة ضلال؛ لأن الله خالق كل شيء، ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد، كما قال الله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

أما الطائفة الذين أنكروا علم الله بالأشياء الكونية فهم كفار،

ولهذا قالا رحمهما الله: (والقدرية مبتدعة ضلال، ومن أنكر منهم أن الله ﷻ لا يعلم ما يكون قبل أن يكون فهو كافر) **فالطائفة الأولى**: هم القدرية الغلاة الذين خرجوا في آخر عصر الصحابة، وهم الذين يقولون إن الله لا يعلم بالشيء حتى يكون، فنسبوا الله إلى الجهل ـ والعياذ بالله ـ، فأنكروا المرتبتين الأوليين من مراتب القدر، وذلك ـ كما سبق ـ أن الإيمان بالقدر له مراتب أربعة، من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقدر، **وهي**: العلم والكتابة، والمشيئة مع الإرادة، والخلق والإيجاد.

فالقدرية الأولى أنكروا المرتبتين الأوليين، أنكروا علم الله بالأشياء قبل كونها، وهؤلاء كفار، كما قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما لحميد الطويل وصاحبه يحيى بن يعمر: «**فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي**»، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «**لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**»[(١)]. ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار.

(١) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ، رقم: (٨).

[٤١] وأن الجهمية كفار:

الشَّرْح

[٤١] ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الجهمية كفار، والجهمية ينسبون إلى الجهم بن صفوان، وهذا الرجل كان قد تتلمذ على الجعد ابن درهم[(١)]، والجعد هو الذي أدب مروان ابن الحكم، وهو الذي ابتدع عقيدة نفي الصفات، فهو المؤسس لعقيدة نفي الصفات، **وكان إنكاره لصفتين:**

١ ـ أنكر صفة الخلة والمحبة لله ﷻ.

٢ ـ أنكر صفة الكلام.

فقال: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، فأفتى علماء زمانه وهم من التابعين للأمير خالد بن عبدالله القسري ـ أمير العراق والمشرق وواسط ـ بقتله.

فنفّذ هذه الفتوى، وكان هو الذي يؤم الناس ويصلي بهم ـ على عادة الأمراء ـ فصلى بالناس صلاة العيد ثم خطب خطبة العيد وأتى بالجعد مقيدا مربوط اليدين والرجلين، وجعله في أصل المنبر وقال في

(١) هُوَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ بِأَنَّ اللهَ مَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلاً، وَلَا كَلَّمَ مُوْسَى، وَأَنَّ ذَلِكَ لَا يَجُوْزُ عَلَى اللهِ.
قَالَ المَدَائِنِيُّ: كَانَ زِنديقاً وَقَدْ قَالَ لَهُ وَهْبٌ: إِنِّي لأَظُنُّكَ مِنَ الهَالِكِيْنَ، لَوْ لَمْ يُخْبِرْنَا اللهُ أَنَّ لَهُ يداً، وَأَنَّ لَهُ عَيْناً مَا قُلْنَا ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الجَعْدُ أَنْ صُلِبَ.انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥١)، و تاريخ الإسلام (٤/ ٢٣٨).

آخر الخطبة:

ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكَلّمً موسى تكليما.

ثم نزل من المنبر وأخذ السكين وذبحه ذبح الشاة، فشكره العلماء وأثنوا عليه،وفي ذلك يقول ابن القيم في نونيته[(١)]:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الدان
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

لكن هذا الرجل لم يمت حتى تتلمذ عليه الجهم بن صفوان، فنشر عقيدته في نفي الصفات ودافع عنه، حتى نسبت عقيدة نفي الصفات إليه.

فالمؤسس الأول هو الجعد بن درهم، فالأصل أن يقال الجعدية لكن لما كان الجهم هو الذي نشرها: نسبت إليه.

وقد قيض الله للجهم أيضا من قتله، وهو: سلب بن أحوز ـ أمير خرسان ـ، والجهم هذا التقى بطائفة من فلاسفة الهند، يقال لهم: السُّمنية، فشككوه في ربه، وكانوا لا يؤمنون إلا بالمحسوسات الخمس، **فقالوا له**: ربك هذا الذي تعبد هل رأيته بعينك؟ **قال**: لا، **قالوا**: هل سمعته بأذنك؟ **قال**: لا، **قالوا**: هل شممته بأنفك؟ **قال**: لا، **قالوا**: هل ذقته بلسانك؟ **قال**: لا، **قالوا**: هل لمسته بيدك؟ **قال**: لا، **قالوا**: إذا هو معدوم فليس هناك إله ما دام أنه لا يُرى ولا يُسمع ولا يُلمس ولا يُذاق ولا يُشم، فشك الجهم في ربه وترك الصلاة أربعين يوما، **ثم نقش الشيطان في ذهنه**؛ فنفى جميع الأسماء والصفات

(١) انظر: الكافية الشافية (١/ ٧).

عن الله، ولم يثبت وجوداً لله إلا في الذهن، **فقال**: إن الله موجود بشرط الإطلاق عن قيود الصفات والأسماء.

ومعلوم أنه لا يوجد شيء بهذه الحالة مجرد من الأسماء والصفات؛ فذات لا تسمى باسم، ولا تتصف بأي صفة: لا وجود لها، ـ يعني: لابد لكل شيء من صفة ـ، فإذا قلت: إن هناك ما لا طول له ولا عرض ولا عمق، وليس له ذات لا فوق الأرض ولا تحت الأرض، ولا داخل العالم ولا خارجه صار مستحيلاً.

فالجهمية أنكروا أسماء الله وصفاته، ومن أنكر أسماء الله وصفاته فمعنى ذلك أنه قال بالعدم؛ لأنه لا يوجد شيء بدون صفات، ولهذا كفرهم خمسمائة عالم كما ذكر ابن القيم فقال في النونية:

ولقد تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ في عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ في البُلْدَانِ

وقال عبدالله بن المبارك العالم المشهور: «**إِنَّا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَلَا نَسْتَجِيزُ أَنْ نَحْكِيَ كَلَامَ الْجَهْمِيَّة**»؛ لخبثها وشرها.

[٤٢] والرافضة رفضوا الإسلام:

الشَّرْح

[٤٢] أي: أن الروافض رفضوا الإسلام وهذا حق، **وعلى هذا** فالذي يرفض الإسلام كافر، **وذلك أن الرافضة**: يعبدون آل البيت ـ علياً والحسن والحسين وفاطمة ـ فيستغيثون بهم ويدعونهم من دون الله، فلا يمكن أن يجتمع الإسلام مع عبادة أهل البيت؛ لأن عبادة أهل البيت شرك، ومن أشرك بالله فقد رفض الإسلام، وهذا ينافي الإسلام، **فالإسلام: هُوَ الاستسلام لله بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وأهله.**

وكذلك فإن الرافضة أيضا: كَفّروا الصحابة إلا نفراً قليلاً منهم، والله قد زكاهم وعدّلهم، ووعدهم بالحسنى وهي: الجنة، فمن كفرهم فقد كذب الله، ومن كذب الله: كفر.

وأيضا يقولون: إن القرآن غير محفوظ، وأنه لم يبق منه إلا الثلث، وأما الثلثان فإنهما ضاعا من القرآن، فيقولون: إن عندهم مصحف فاطمة الذي يعادل المصحف الذي عند أهل السنة ثلاث مرات!

فهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩] فمن قال: إن القرآن غير محفوظ؛ فهو كافر. حتى ألف بعض الشيعة كتاباً سماه: «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب».

ـ فالرافضة رفضوا الإسلام لكفرهم وضلالهم؛ فهم قد أشركوا بالله حيث عبدوا آل البيت، وكَذَّبوا الصحابة وهو كفر وردة، وكذلك في قولهم أن القرآن غير محفوظ.

والرافضة طائفة من طوائف الشيعة، والشيعة طبقات:

أعلاهم النصيرية الذين يقولون: إن الله حَلَّ في علي، وهؤلاء كفار.

ثم **المُخَطِّئة** الذين خَطَّؤوا جبريل وقالوا: إن جبريل أخطأ في الرسالة، فالله أرسله إلى علي فأعطاها محمداً، فخان الأمانة، يقولون: خان الأمينُ وصد عن حيدرة، خان الأمين: يعني: جبريل، وصد عن حيدرة: هو علي ﷺ، يعني: صد عن علي إلى محمد ﷺ، **ومن قال هذا فهو كافر بإجماع المسلمين.**

ثم الرافضة.

وأما **الزيدية** الذين يفضلون علي ﷺ على عثمان ﷺ فهؤلاء من المبتدعة.

[٤٣] والخوارج مُرّاق:

الشَـرْح

[٤٣] أي: أن الخوارج مرقوا من الدين، وهذا مأخوذ من قول النبي في الحديث الصحيح في الخوارج: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**»[(١)]، «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ**»: يخرجون من الدين سريعاً. فهم مراق يخرج الواحد منهم من الدين سريعاً كما يمرق السهم من الرمية وهذا دليل على كفر وضلالة، ولهذا كفرهم بعض العلماء، وهي رواية عن الإمام أحمد أن الخوارج كفار.

وقوله ﷺ: «**لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ**» شبههم بقوم عاد وهم قوم كفار، **والصحابة عاملوهم معاملة المبتدعة** كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

والخوارج أهل عبادة، من تهجد في الليل وغير ذلك، وعندهم شجاعة قوية في النهار، فهم رهبان في الليل وأسود في النهار، ولكنهم جهال، **ولهذا مرقوا من الدين بجهلهم وضلالهم.**

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ [الحاقة: ٦]، رقم: (٣٣٤٤) واللفظ له، ومسلم: كِتَاب الزَّكَاةِ، رقم: (١٠٦٤).

[٤٤] ومن زعم أن القران مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة:

[٤٥] ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر:

الشَّرْح

[٤٤] من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر؛ **وذلك لما يلي:**

١ ـ لأن القران كلام الله وصفة من صفاته، والله بذاته وصفته هو الخالق وما عداه فهو مخلوق، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢].

فمن زعم أن القران مخلوق ـ وهو كلام الله وصفته ـ فهو كافر.

٢ ـ أن الكلام يكون بحرف وصوت مسموع يتكلم الله به بمشيئته، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، قال بهذا الأئمة كالإمام أحمد وغيره.

٣ ـ أن كلام الله من علمه، وعلم الله ليس بمخلوق، فلا يكون كلامه وعلمه مخلوقين.

وهذا الحكم من حيث العموم، أما الشخص المعين فلا يُكَفَّر حتى تقوم عليه الحجة وتنتفي عنه الموانع، ولهذا قالا رحمهما الله: (ومن زعم أن القران مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفراً ينقل عن الملة) فمن زعم أن القران مخلوق كالمعتزلة وغيرهم فهو كافر، وهذا الحكم بالكفر على العموم، لا بشخص بعينه.

[٤٥] من شك في تكفير الكافر فهو كافر؛ لأن عدم تكفير المشركين ناقض من نواقض الإسلام، فمن لم يكفر المشركين، أو صحح مذهبهم فهو كافر مثلهم.

[٤٦] ومن شك في كلام الله ﷻ، فوقف فيه شاكا يقول: لا أدري، مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو جهمي:

[٤٧] ومن وقف في القرآن جاهلاً علم وبدع ولم يكفر:

الشَّرح

[٤٦] من شك في كلام الله وتوقف وقال: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق **فهو جهمي**؛ لأن الجهمية يقولون: كلام الله مخلوق، والمتوقف لم يثبت أن القران صفة من صفات الله،فلم يثبت أنه كلام الله فصار جهمياً؛ سواء قال إن القران مخلوق، أو كان شاكاً، فالشاك حكمه حكم من قال: القرآن مخلوق؛ فهو لم يثبت أن القرآن كلام الله وأنه صفة من صفاته، ومن لم يقل أن القرآن هو صفة من صفات الله فهو كافر، سواء كان شاكا متوقفاً، أو كان مصرحاً بأن القرآن مخلوق، فالحكم واحد:

١ ـ لأن الشاك لم يثبت حكما.

٢ ـ ولأن الشك وسيلة إلى القول بأنه مخلوق.

[٤٧] الواقف هو الذي يقول: أنا متوقف الآن ليس عندي جزم بأنه مخلوق أو غير مخلوق، فمن وقف في القرآن جاهلاً عُلِّمَ وبُدِّعَ ولم يكفر، إذا وقف في القرآن توقف وقال ما أدري هل هو مخلوق ولا غير مخلوق ما أدري بسبب الجهل ما يكفر يعذر بالجهل لكنه يبدع يعلم ويبدع يقال: أنت مبتدع، فإذا تاب، تاب الله عليه.

فالتوقف في القرآن جاهلاً يعلَّم، ويبدع ولا يكفر؛ لأنه يدرأ عنه التكفير بسبب جهله.

[٤٨] ومن قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي، أو القران بلفظي مخلوق فهو جهمي:

الشَّرْح

[٤٨] من قال لفظي بالقران مخلوق فهو جهمي، أو قال القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي؛ وذلك لأن القرآن كلام الله ألفاظه ومعانيه، فمن خصص وقال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ لأنه وافق الجهمية في قولهم أن القرآن لفظه ومعناه مخلوق، فتخصيصك للفظ هذا يوافق الجهمية، فلا تخصص.

أو قال القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي، والحكم واحد؛ فإذا قال: لفظي بالقرآن مخلوق، أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي، يعني: أن حكمه حكم الجهمية، والجهمية كفار، وذلك أنهم أنكروا كلام الله وسائر صفاته.

ومن قال: إن القرآن مخلوق فحكمه أنه كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة، وذلك بعد قيام الحجة عليه، ومن شك في كفر من قال: إن القرآن مخلوق، فهو كافر، كذلك من شك في كلام الله ﷻ، فوقف فيه شاكاً يقول: لا أدري مخلوق أو غير مخلوق، فهو جهمي؛ لأنه لما شك في كلام الله وتوقف فيه لم يثبت أن القران كلام الله، ولهذا كان جهمياً، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ لأن هذا خلاف لمذهب السلف، وكل هؤلاء مخالفون لهدي السلف، وقولهم وسيلة إلى القول بخلق القرآن، والوسائل لها أحكام المقاصد.

قال أبو محمد: وسمعت أبي رضي الله عنه يقول:

[٤٩] وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر:

الشَّرْح

[٤٩] أي: أن علامة أهل البدع أنهم يقعون في أهل الحديث والأثر، فيغتابونهم ويسبونهم ويقعون في أعراضهم، ويذكرون مثالبهم وعيوبهم؛ وما ذلك إلا لما في قلوبهم من المرض.

وقد يجعلون محاسنهم مثالب، ويسمونها بتسمية يكون فيها تنفير، ـ كما سيذكر المؤلف ـ فيجعلون عملهم بالكتاب والسنة، وإجراءهم للنصوص على ظاهرها، وإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من الأسماء والصفات يجعلونه مثلماً، ويجعلون إثباتهم للأسماء والصفات تنقصاً للرب جلّ وعلا؛ فيقعون فيهم.

ـ فإذا رأيت من يقع في أهل السنة والحديث، ويذكر مثالبهم ومعايبهم، ويضخم الهفوات؛ فاعلم أن ذلك دلالة على أنه من أهل البدع.

وإثباتهم لما دل عليه الكتاب والسنة من أسماء الله وصفاته ليس مثلماً؛ بل هو من محاسنهم ومن توفيق الله لهم، ولكن أهل البدع أبَوا إلا أن يجعلوه مثلباً، أسوة بأعداء الله الكفرة، الذين ينقمون على المؤمنين إيمانهم وتوحيدهم، فيعذبونهم ويؤذونهم، كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البُرُوج: ٨-٩].

فهذه علامة أهل البدع أنهم يقعون في أعراض أهل السنة والحديث، ويجعلون إثباتهم للأسماء والصفات، وإجراءهم للنصوص على ظاهرها مثلبة وعيبا يلمزونهم به وينتقصونهم به.

[٥٠] وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر حشوية؛ يريدون إبطال الآثار:

الشَّرْح

[٥٠] الزنادقة جمع زنديق، **والزنديق هو**: المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر. وأصل هذه الكلمة كلمة فارسية ثم عربت.

ـ كان الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر **يسمى في عهد النبي ﷺ منافقاً**، والله جل وعلا سماهم **منافقين**، كما قال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنَافِقون: ١].

ـ **ثم بعد عصر الصحابة** لما دخل في الإسلام بعض الملاحدة، وأخفوا كفرهم ونفاقهم بتسترهم باسم الإسلام؛ صاروا يُسَمَّون **زنادقة**.

ـ **ثم صار في زمننا يسمى المنافق**: علمانيا، فالمنافقون يُسمون: **علمانيون**، فالعلماني في هذا الزمن هو المنافق، وهو الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر.

فكان يسمى من يظهر الإسلام ويبطن الكفر في عهد النبي ﷺ: منافقاً، ثم بعد عصر الصحابة: زنديقا، وفي عصرنا هذا: علمانيا.

ـ **ويُطلق الزنديق على**: الجاحد المعطل، الذي أنكر وجود الله، وعطل المصنوعات من صانعها، وعطل الصانع من صفات كماله ـ والصانع هو الرب ﷻ ـ وهذا الإطلاق من باب الخبر.

فمن عطل المصنوعات من صانعها ـ أي المخلوقات من خالقها ـ، أو عطل الصانع من صفاته؛ يسمى زنديقا.

والمنافق في الدرك الأسفل من النار؛ لأنه مكذب لله ورسوله، ولأنه وافق اليهود والنصارى والوثنيين في الكفر؛ وزاد عليهم بالخداع، فاليهود والنصارى والوثنيين تأخذ حذرك منهم؛ لأن عداوتهم مكشوفة، لكن المنافق الذي يعيش بين أظهر المسلمين، وهو يوافق الكفرة في الكفر، لكنه يتظاهر بالإسلام ليتوصل إلى مآربه؛ من الكيد للإسلام وأهله، ومن الطعن في الإسلام، ومن تدبير المكائد للقضاء على الإسلام والمسلمين: يخدعك بمظهره ألا تأخذ حذرك منه؛ فلذلك زاد عذاب المنافق، وكان أشد من عذاب اليهود والنصارى، فكان في الدرك الأسفل من النار.

فعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة والأثر حشوية؛ من أجل أن ينفروا الناس عنهم.

والحشوية في اللغة هم: حشو الناس ورذالهم، قال ابن منظور في لسان العرب: **(وحُشْوَةُ النَّاسِ: رُذالَتُهم)**[(١)]، يعني: الأراذل.

والحشو في الاصطلاح هو: عبارة عن الشيء الزائد، الذي لا طائل تحته.

فأهل البدع ينبزون أهل السنة، وأهل الحديث بهذا اللقب، فيسمونهم: حشوية، بمعنى أنهم رذال الناس وأنه لا فائدة منهم ولا طائل تحتهم وأنهم حشوةٌ في وجود الناس، وفضلة في الأمم، لا قيمة لهم.

وقد ذكر العلامة ابن القيم نبزهم لأهل السنة بهذا اللقب في

(١) انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٠).

الكافية الشافية، فقال[١]:

حشوية يعنون حشوا في الوجود وفضله في أمة الإنسان
ويظن جاهلهم بأنهم حشوا رب العباد بداخل الأكوان

يعني: أنهم حشوية في الوجود، وفضلة في الناس، والجهال يظنون بأن معنى الحشو أنهم يقولون أن الله سبحانه في السماء، وأن الله داخل المخلوقات.

فجهالهم يظنون أنهم قد حَشَو رب العباد داخل الأكوان.

فمن علامات أهل البدع، تسميتهم أهل الأثر حشوية.

يقول الإمامان رحمهما الله: (يريدون إبطال الآثار)، وهي السنن والأحاديث التي فيها أن الله في السماء، ومنها: حديث الجارية حينما سألها النبي ﷺ بقوله: «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ[٢]. فقالوا إن النبي ﷺ سألها مسألة فاسدة، فأجابت جواباً فاسداً بما يناسب عقلها، وأَقَرّها على هذا الجواب؛ لأنها جارية أعجمية لا تفهم.

قالوا: وإلا فلا يُسأل عن الله بـ«**أين**»، فأين يُسأل بها عن المكان، والله ﷻ ليس له مكان عندهم؛ إذ عندهم أن من قال: إن الله في السماء كفر؛ لأنه جعل الله جسماً محدوداً محصوراً فوق المخلوقات، فمقصود النبي ﷺ من المسألة بـ«**أين الله**» من الله؟!

هكذا يقولون، وهكذا اتهموا النبي ﷺ بأنه أخفى الحق وسأل سؤالاً فاسداً، وأنه أقر الجارية على جواب فاسد يناسب عقلها.

أما القرآن فلا يستطيعون إبطاله، فلجؤوا إلى تحريف معانيه.

(١) انظر: الكافية الشافية (١/ ٩٠).

(٢) أخرجه مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، رقم: (٥٣٧).

[٥١] وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبَّهة ونابتة:

الشَّرح

[٥١] الجهمية هم أتباع الجهم بن صفوان، والجهم يتزعم عقيدة نفي الأسماء والصفات، ونُسبت هذه العقيدة إليه؛ لأنه نشرها ودافع عنها، وإلا فالمؤسس لعقيدة نفي الأسماء والصفات هو الجعد بن درهم، فهو أول من تكلم بنفي الأسماء والصفات؛ فأنكر أن يتخذ الله إبراهيم خليلا، وأن يكلم الله موسى تكليما؛ فقتله خالد بن عبدالله القسري، ثم توسع الجهم في عقيدة نفي الأسماء والصفات حتى نسبت إليه، **فالجهم بن صفوان أخذ عن** الجعد بن درهم، **والجعد أخذ عن** أبان بن سمعان، **وأبان بن سمعان أخذ عن** طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، **وطالوت أخذ عن** خاله لبيد بن الأعصم، اليهودي الذي سحر النبي ﷺ.

وكذلك أخذ الجهم عن الفلاسفة، وعن الصابئة المشركين في بلاد حران.

فتكون عقيدة نفي الصفات سلسلة تتصل باليهود والصابئة والمشركين.

ـ وعلامة الجهمية الذين ينكرون الأسماء والصفات؛ تسميتهم أهل السنة: مشبهة، فمن أثبت الأسماء والصفات قالوا: هذا مُشَبِّه.

فإذا قلت: إن لله علما وقدرة وسمعا وبصرا، قال الجهمي: شبهت الخالق بالمخلوق؛ فالمخلوق له علم وقدرة وسمع وبصر.

لكن نحن نقول: إن الله متصف بالصفات التي وصف بها نفسه، ووصفها به رسوله ﷺ، لكنه لا يماثل أحداً من خلقه، فالخالق له أسماء وصفات تخصه، والمخلوق له أسماء وصفات تخصه، كما قال الله سبحانه:

١ ـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشّورىٰ: ١١].

٢ ـ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مَريَم: ٦٥].

يعني: مساميا ومماثلاً.

والاستفهام هنا بمعنى النفي، أي: لا تعلم له مساميا ومماثلاً.

٣ ـ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢].

٤ ـ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النّحل: ٧٤].

ـ ومن علامتهم أيضا أنهم يسمون أهل السنة: نابتةٌ؛ أي أنهم أنبتوا بدعاً غريبة في الإسلام.

فمن الألقاب التي ينبزونهم بها: حشوية ومُشبِّهة ونابتة ومُجْبرة.

ويسمونهم: غثاء؛ وهو ما يعلو ماء السيل من الزبد، وما يوجد معه من الأوساخ. ويقولون: إن الحشوية غثاء باعتبار رذالتهم وخستهم.

ويسمونهم: رعاع، وأغثار ـ وهم سفلة الناس وأراذلهم ـ، وحملة أسفار؛ كل هذه ألقاب ينبز بها أهل البدع أهل السنة؛ **لتنفير الناس منهم.**

ولكن الحق ثابت وباق، والباطل ذاهب وزائل، يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرّعد: ١٧].

فإذا رأيت من يُسمِّي أهل السنة مشبهة أو نابتة فاعلم أنه جهمي.

[٥٢] وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر أهل السنة مجبرة:

الشَّرح

[٥٢] **القدرية هم**: الذين نفوا أن يكون الله خلق أفعال العباد، وسموا قدرية؛ لنفيهم القدر، وهم طائفتان كما تقدم:

الطائفة الأولى: القدرية النفاة، وهم الذين ينفون القدر؛ فيقولون: إن العباد خالقون لأفعالهم، والله تعالى لم يخلق أفعال العباد ولم يقدِّرها، وإنما يخلقها العباد أنفسهم، لأنهم يرون بزعمهم أن الرب لو خلق أفعال العباد من الطاعات والمعاصي وعذب عليها؛ لصار ظالماً، ففراراً من ذلك نفوا تقدير الله لأفعال العباد؛ فَسُمُّوا قدرية.

وقالوا: إن العباد هم الذين يخلقون أفعالهم من طاعات ومعاص؛ أن العبد إذا فعل معصية فإنه يجب على الله أن يعذبه عليه، وليس له أن يعفو عنه؛ لأن العبد هو الذي أوجدها بنفسه.

وإذا فعل الطاعة وجب على الله أن يثيبه عليها، ويستحق الأجر على الطاعة، كما يستحق الأجير أجرته.

الطائفة الثانية: القدرية الجبرية، الذين يقولون إن العباد مجبورون على أفعالهم، وأن أفعالهم كلها اضطرارية، وليس لهم فيها اختيار؛ وإنما هو كحركة المرتعش والنائم ونبض العروق، وكتحريك الرياح للأشجار.

فالقدرية النفاة يسمون أهل السنة والأثر: مُجْبرة؛ لأنهم يقولون عن الله أنه خلق العباد وخلق أفعالهم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: ٩٦].

فإذا رأيت من يُسمّي أهل السنة مجبرة فاعلم أنه قدري.

[٥٣] وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية:

الشَّرْح

[٥٣] المرجئة سموا مرجئة من الإرجاء، وهو التأخير؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]؛ لأنهم أخروا الأعمال فلم يدخلوها في مسمى الإيمان، فسموا مرجئة.

فإذا رأيت من يسمي أهل السنة: مخالِفة ونقاصانية، فاعلم أنه مرجئ

وأهل السنة يقولون: إن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالقلب وعمل بالجوارح.

والمرجئة بجميع طبقاتهم لا يقولون بدخول الأعمال في مسمى الإيمان.

وكلهم يقولون: إن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص؛ لأن الإيمان التصديق بالقلب، والتصديق لا يزيد ولا ينقص؛ العمل هو الذي يزيد وينقص والعمل ليس من الإيمان.

فلهذا سموا أهل السنة: نقصانية؛ لأنهم يقولون: إن الإيمان يزيد وينقص.

وسموهم: مخالفة؛ لأنهم يخالفون الاعتقاد الصحيح بزعمهم.

وسموهم نقصانية ولم يسموهم زائدية؛ لأنهم يقولون: بنقصان الإيمان وزيادته؛ لأن الزيادة جاء بها القرآن، قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ

﴿إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [التّوبَة: ١٢٤].

أما المرجئة فيقولون: إن الإيمان هو التصديق، والتصديق لا يزيد ولا ينقص، ولهذا قالوا: إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد، وإيمان أفسق الناس وأعبد الناس شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص؛ أعبد الناس مصدق، وأفسق الناس مصدق، فإيمانهما واحد، والتفاوت بينهم إنما هو في الأعمال، والأعمال ليست من الإيمان.

فلهذا قالوا: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وسموا أهل السنة نقصانية، لقولهم أن الإيمان يزيد وينقص.

[٥٤] وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة:

الشَّرح

[٥٤] الرافضة فرقة من فرق الشيعة، وطائفة من طوائفهم؛ لأن الشيعة اسم عام يشمل جميع فرقهم، وسموا شيعة من التشيع **وهو**: الميل والمحبة؛ لأنهم يميلون في محبتهم إلى أهل البيت.

نحن نحب أهل بيت النبي ﷺ وزوجاته، ولكن لا نعبدهم من دون الله، ولا نغلو فيهم؛ بل نُنْزِلهم منازلَهم التي أنزلهم الله تعالى بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب.

وفرق الشيعة ـ كما ذكر المصنفون في الفرق ـ أربع وعشرون فرقة، **أعلاهم النصيرية**؛ الذين يقولون إن الله حل في علي، **ثم المخطئة**؛ الذين خطؤوا جبريل حين أرسله الله بالوحي.

ثم الرافضة، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه، لما سألوه عن أبي بكر وعمر فقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أقول هما وزيرا جدي رسول الله ﷺ. فرفضوه وتركوه، ولما تركوه ورفضوه قال: رفضتموني رفضتموني؛ **فسموا الرافضة**؛ من الرفض وهو الترك؛ لأنهم رفضوا زيد بن علي.

وكانوا قبل ذلك يسمون الخشبية؛ لأنهم يقاتلون بالخشب ولا يقاتلون بالسيف حتى يخرج المهدي المنتظر، الذي دخل السرداب في العراق سنة (٢٦٠)، وقد مضى عليه (١٢٠٠) سنة، ولم يخرج إلى الآن، فإذا خرج فإنه يجاهد ويقاتل أهل السنة.

والرافضة يعبدون آل البيت؛ فيتوسلون بهم، ويدعونهم من دون الله، ويسألونهم الشفاعة؛ وهذا شرك بالله.

وهم يكفرون الصحابة، إلا نفراً قليلاً منهم، وتكفيرهم تكذيب لله؛ لأن الله زكاهم وعدلهم ووعدهم الجنة، ومن كذب الله كفر.

ويعتقدون أيضاً أن القرآن غير محفوظ، وأنه ضاع ولم يبق منهم إلا الثلث، وضاع ثلثاه، وهذا تكذيب لله في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: ٩].

فعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة؛ لأنهم نصبوا العداوة لأهل البيت، لأنهم لا يعبدونهم.

وإلا فأهل السنة يحبون أهل البيت، ويوالونهم، لكنهم لا يعبدونهم، فلما كانوا لا يعبدونهم سموهم ناصبة.

[٥٥] وظل هذا الأمر:

الشَّرْح

[٥٥] ظل هذا الأمر علامة لأهل البدع ولأهل الفرق وأهل النبز بالألقاب، **والمعنى**: وكان هذا الأمر علامة واضحة لأهل البدع في نبزهم أهل السنة والأثر، بالألقاب الشنيعة، تنفيراً للناس عنهم؛ حتى لا يقبلوا الحق الذي معهم.

[٥٦] ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد:

الشَّرْح

[٥٦] وهذا الاسم هو: أهل السنة والجماعة، أما هذه الألقاب فلا تلحقهم، وهم بريئون منها، فلا يلحقهم إلا اسم واحد، **وهو**: أهل السنة والجماعة، للزومهم الحق وعملهم بالسنة، وبعدهم عن الشذوذ والفرقة والاختلاف، فلهذا لا يلحقهم إلا هذا الاسم.

[٥٧] ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسامي:

الشَّرْح

[٥٧] أي: يستحيل أن تجتمع كل هذه الأسامي في أهل الحق، فكيف يكونون حشوية ونابتة، ومجبرة ونقصانية، وغثاء وغتر وناصبة؛ فيستحيل أن تجمعهم هذه الأوصاف الشنيعة والألقاب السيئة.

حدثنا أبو محمد قال: وسمعت أبي وأبا زرعة:

[٥٨] يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، ويغلظان في ذلك أشد التغليظ:

الشَّرْح

[٥٨] **الهجر معناه**: الترك، والمراد بهجر أهل البدع والزيغ والضلال والمعاصي والفسق: أنهم يُتركون؛ فلا يُكلَّمون ولا يُرد عليهم السلام، ولا تُجاب دعوتهم، ولا يُجالسون ولا يُأكلون، ولا يُشاربون؛ حتى يرجعوا إلى الحق، ويتركوا ماهم عليه من البدعة أو المعصية والفسق.

فمن السنة أن تهجر المبتدع والعاصي والفاسق حتى يتوب، فإنه إذا رأى أهل الحق وأن الناس سيهجرونه ولا يكلمونه، ولا يردون عليه السلام، ولا يجيبون دعوته؛ حينئذ يُؤَنِّبه ضميرُه، ويرى أن المجتمع يكرهه ولا يحبه، فحينئذ يتوب ويرجع عن بدعته وفسقه، ثم بعد ذلك يكلمه أهلُ الحق ويجيبون دعوته ويردون عليه السلام، فهذا الهجر هجر تأديب وردع وزجر.

- وذهب بعض المحققين من أهل العلم إلى التفصيل في ذلك، فقالوا: إن كان الهجر يفيد في أهل المعاصي، فيرتدعون بسببه عن معاصيهم وبدعهم، ويتوبون إلى الله ويتركون ما هم عليه؛ فإنه مشروع.

وأما إن كان الهجر يزيد المهجور في المعصية، ففي هذه الحالة لا يشرع هجره؛ بل استمِر في نصيحته من غير هجر.

كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره[١]، فبين أن الهجر يستعمل كالدواء؛ فإن كان يفيد فإنك تستعمله، وإن كان لا يفيد فلا تستعمله.

والدليل على ذلك أن النبي ﷺ هجر كعب بن مالك وصاحباه هلال بن أمية، ومرارة بن الربيع خمسون ليلة، حتى تاب الله عليهم[٢]، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨﴾ [التوبة: ١١٨].

الثلاثة هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع.

وهذا قول حسن، ولاسيما في هذا الزمن، فإن أهل البدع والفسق إذا هجرتهم، فإنهم لا يبالون بذلك، وذلك أنه إذا هجر فإنه سيجد من يصاحبه ويؤيده.

ففي هذه الحالة لا تهجره، وإنما استمر في نصيحته لعله يتوب.

وهذا الهجر الذي لأجل الدين ليس له حد محدد، فتهجره حتى يتوب ويقلع عما هو واقع فيه من الزيغ والضلال، ولو كان الهجر لمدة طويلة، ولهذا هجر النبي ﷺ هؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك خمسين ليلة.

أما إذا كان الهجر من أجل الدنيا ومن أجل تحصيل حظ النفس وشهواتها؛ فلا يجوز ذلك أكثر من ثلاثة أيام، فيباح للإنسان أن يهجر أخاه من أجل حظوظ الدنيا يوم ويومان وثلاثة؛ لأن النفس يكون فيها بعض التكدر، وما زاد عن ذلك فلا يجوز شرعا، لقول النبي ﷺ: «**لَا**

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٢٨/٢٠٦).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَقَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾، رقم: (٤٤١٨)، ومسلم: كتاب التَّوْبَةِ، رقم: (٢٧٦٩).

يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»[(١)].

ولهذا كان أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله يأمران بهجر أهل الزيغ والبدع.

وأهل الزيغ هم أهل الانحراف، الذين عندهم شبه، وزاغوا عن الحق ومالوا عنه؛ **سواء أكان فسقاً**؛ كان يشرب الخمر، أو يتعامل بالربا، أو يعق والديه، أو يقطع رحمه.

أو مبتدعة؛ كأن يكون جهمياً، أو قدرياً، أو خارجياً، أو صوفياً.

فالإمامان الرازيان يأمران بهجر أهل الزيغ والبدع، ويغلِّظان في ذلك أشد التغليظ، والعلماء لهم مؤلفات في هذا؛ كابن بطة وغيره من أهل العلم.

فلا تجالس أهل البدع ولا تكلمهم، ولا تتبع جنازتهم؛ إلا إذا كان على وجه النصيحة ودعوتهم إلى التوبة؛ فلا بأس بذلك.

بل إن الكافر يزار ويدعى إلى الإسلام، كما زار النبي ﷺ عمَّه أبا طالب لما حضرته الوفاة، ودعاه إلى الإسلام[(٢)].

وكما زار ﷺ الشاب اليهودي ودعاه إلى الإسلام، فَقَعَدَ ﷺ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري: كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ الهِجْرَةِ، رقم: (٦٠٧٧)، ومسلم: كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، رقم: (٢٥٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، رقم: (١٣٥٦).

فالمسلم إذا كان طالب علم وله تأثير على المبتدع، فإنه يزوره، أما إن كان لا يقبل، أو يخشى أن يتأثر من بدعته؛ فإنه يهجره والحال هذه.

[٥٩] وينكران وضع الكتب بالرأي بغير آثار:

[٦٠] وينهيان عن مجالسة أهل الكلام:

[٦١]وعن النظر في كتب المتكلمين:

[٦٢] ويقولان: لا يُفلح صاحب كلام أبدًا:

الشَّرْح

[٥٩] أي: ينكران رحمهما الله أن تؤلف الكتب بغير أن يستدل عليها بالأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين، فلا تؤلَّف الكتب ويذكر فيها آراء ليس عليها دليل.

[٦٠] ينهى الإمامان الرازيان رحمهما الله عن مجالسة أهل الكلام، وكذلك ينهى غيرهم من أهل العلم؛ وذلك خشية أن تنزل عليهم السخطة، فيصيبكم ما أصابهم.

فهم ينهون عن مجالستهم ومحادثتهم ومخالطتهم.

[٦١] ينهى الإمامان الرازيان رحمهما الله عن النظر في كتب المتكلمين، **والمتكلمون من أهل البدع هم**: الجهمية والمعتزلة والقدرية، فهم ينهون عن النظر في كتبهم؛ لأنه يُخشى على الناظر كتبهم أن يتأثر بالشبه والضلالات التي يذكرونها فيها.

فإذا قرأ الشخص في كتب المعتزلة وجدت عنده شبه في إنكار رؤية الله يوم القيامة، وإنكار الكلام، فإذا قرأتها تمكنت في رأسك، وصَعُب إزالتها؛ فلهذا ينهى أهل العلم ومنهم الإمامان الرازيان رحمهما الله عن النظر في كتب أهل المتكلمين؛ لئلا يتضرر الإنسان بما فيها من

إنكار الأسماء والصفات، وإنكار القدر وغير ذلك من الشبه والضلالات.

[٦٢] صاحب الكلام لا يفلح، بل هو هالك خاسر إن لم يتداركه الله برحمته، فما دام أنه على هذا المعتقد الفاسد فلا يفلح، أما إذا تاب، تاب الله عليه.

وسُمُّوا أهلَ الكلام لأنهم يتكلمون في أصول الدين بمجرد آرائهم الفاسدة، فليس عندهم إلا الكلام فقط، أما أهل الحق فإنهم يستدلون في أصول الدين بكتاب الله ﷻ وبسنة رسوله ﷺ، وبأقوال الصحابة رضي الله عنهم، فمن أجل ذلك سُمّي أهلُ السنة بأهلِ الأثر، وبأهلِ الحديث، وبأهلِ السنة؛ وأما أهل البدع المتكلمون فليس عندهم إلا الكلام والآراء الباطلة والفاسدة التي يقررونها؛ فلهذا سُمّوا بأهل الكلام.

[٦٣] وقال أبو محمد: (وبه أقول أنا):

وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: (وبه أقول).

وقال شيخنا ابن المظفر: (وبه أقول).

وقال شيخنا ـ يعني المصنف ـ اللالكائي: (وبه أقول).

الشَّرْح

[٦٣] أي: أن أبا محمد بن أبي حاتم يقول ويعتقد ما جاء في هذه الرسالة من أصول الدين ومن العقيدة الصحيحة السليمة مما قرره الإمامان رحمهما الله، من:

إثبات أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

وإثبات أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

والإيمان بالقدر خيره وشره.

والترضي على الصحابة والترحم عليهم، واعتقاد فضلهم وسابقتهم.

وإثبات الخلافة لأبي بكر ثم لعمر ثم لعثمان ثم لعلي رضي الله عنهم.

وإثبات أن الله عز وجل فوق العرش، بائن من خلقه.

وإثبات الرؤية وأن الله يُرى في الآخرة.

وإثبات الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان الآن.

وإثبات الصراط والميزان، والحوض والشفاعة، وعذاب القبر.

وإثبات البعث بعد الموت.

وإثبات أن الكبائر تحت مشيئة الله، وأن المسلم لا يكفر بالكبيرة.

واعتقاد عدم تكفير أهل القبلة بالذنوب.

واعتقاد فرض الجهاد إلى قيام الساعة مع الأئمة أبراراً كانوا أو فجارا.

واعتقاد أنه لا يجوز الخروج على الأئمة، وأنه يجب السمع والطاعة لمن ولاه الله أمر الأمة في طاعة الله والأمور المباحة.

واعتقاد دفع الصدقات من السوائم إلى ولي الأمر.

واعقتاد أن الناس مؤمنون في الأحكام في الدنيا، وأنه لا يشهد لأحد بعينه أنه من أهل الجنة، ولا لأحد بعينه من أهل القبلة، أنه من أهل النار، إلا من شهدت لهم النصوص.

واعتقاد أن المرجئة والقدرية ضُلّال، وأن الجهمية كفار، وأن الرافضة رفضوا الإسلام، وأن الخوارج مُرّاق.

واعتقاد أن من زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم، ومن شك في كلام الله، فوقف فيه شاكاً يقول: لا ادري مخلوق أم غير مخلوق؛ فهو جهمي.

فكل ما جاء في هذه العقيدة قال أبو محمد: وبه أقول أنا.

وكذا قال به أبو علي المقرئ، وابن المظفر، واللالكائي.

خاتمة:

هذه الرسالة وإن كانت صغيرة الحجم، فهي غزيرة المعاني، شاملة لأصول الدين، ومعتقد أهل السنة والجماعة.

والحمد لله على ما يسّر من إتمام شرحها وإعداده للنشر، وأسأل الله أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وأن يثبتنا على دينه القويم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله نبينا محمد، وعلى أصحابه والتابعين.

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
المقدمة:	٥
متن كتاب أصل السنة واعتقاد الدين:	٧
مقدمة المؤلف:	١٢
[١] الإيمان قول وعمل:	١٥
- مسمى الإيمان مكون من أربعة أشياء:	١٥
[٢] يزيد وينقص:	١٥
- الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص:	١٦
- فرق المرجئة أربع:	١٩
الفرقة الأولى: المرجئة الغلاة:	١٩
- أفسد تعريف لمسمى الإيمان هو تعريف الجهم:	١٩
- العقائد الفاسدة التي تزعّمها الجهم:	٢١
الفرقة الثانية: الكرَّامية:	٢٢
الفرقة الثالثة: الماتريدية:	٢٢
الفرقة الرابعة: مرجئة الفقهاء:	٢٢
- أول من قال بأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان:	٢٣
- الآثار التي ترتبت على قول مرجئة الفقهاء في مسمى الإيمان:	٢٤
- قول أهل السنة في الكفر بم يكون؟!	٢٦
- مذهب المرجئة في الكفر بم يكون:	٢٧
• مسألة: القول بأن العمل شرط كمال أو شرط صحة قول المرجئة:	٢٧
[٣] والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته:	٢٨
- المذاهب في كلام الله:	٢٩
• مسألة: في إثبات الصوت لله:	٣١
- الأدلة على إثبات الصوت لله:	٣١
[٤] والقدر خيره وشره من الله:	٣٣
- أدلة الإيمان بالقدر:	٣٣
- مراتب القدر:	٣٥
المرتبة الأولى: العلم:	٣٥
المرتبة الثانية: الكتابة:	٣٥

الموضوع | الصفحة

المرتبة الثالثة: الإرادة أو المشيئة: ٣٧
- المذاهب في تقسيم الإرادة: ٣٧
المذهب الأول: مذهب أهل السنة: ٣٧
المذهب الثاني: مذهب أهل البدع: ٣٧
- الأدلة على الإرادة: ٣٨
المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد: ٣٩
- القدرية طائفتان: ٣٩
الطائفة الأولى: غلاة القدرية: ٣٩
الطائفة الثانية: عامة القدرية: ٤٠
- سبب ضلال القدرية: ٤٠
- حكم عامة القدرية: ٤١
- شبهتهم: ٤١
- الذي انبنى على شبهة القدرية: ٤١
- عامة القدرية معتزلة في الصفات، قدرية في الأفعال: ٤٢
- الاحتجاج بالقدر على المعاصي والمراد بالظلم المنفي عن الله: ٤٣
- تعريف الظلم عند أهل السنة والجماعة: ٤٣
- القدرية جهلوا معنى الظلم: ٤٣
- تعريف الظلم عند الجبرية والأشاعرة وغيرهم: ٤٣
- الجواب عن أقوالهم: ٤٤
• مسألة: الشرور الموجودة من المعاصي والكفر هل هي شرٌ محض أم شرٌ نسبي؟: ٤٥
• مسألة: بالنسبة للخالق -سبحانه- الذي يضاف إليه ما هو؟: ٤٥
- القدرية يُسمَّون مجوس هذه الأمة: ٤٥
- القدرية باعتبار الإيمان بالشرع والقدر ثلاث طوائف: ٤٦
الطائفة الأولى: القدرية المجوسية: ٤٦
الطائفة الثانية: القدرية المشركية: ٤٦
الطائفة الثالثة: القدرية الإبليسية: ٤٧
- الإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان، فمن لم يؤمن به فهو كافر بإجماع المسلمين: ٤٨

الموضوع | الصفحة

[٥] وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام: أبو بكر الصديق، ثم عمر ابن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب ﷺ: ... ٤٩
[٦] وهم الخلفاء الراشدون المهديُّون: ٤٩
- أهل السنة والجماعة يعتقدون فضل الصحابة، وأنهم أفضل الناس بعد الأنبياء: ٤٩
- الواجب على المسلم أن يترحم عليهم، ويترضى عنهم، ويعتقد فضلهم ومنزلتهم، والكف عما شجر بينهم من الخلاف والنزاع: ٥٠
- نوع الأخبار المروية عن الصحابة فيما شجر بينهم: ٥٣
- الواجب على المسلم تجاه الصحابة: ٥٤
[٧] وأن العشرة الذين سمَّاهم رسول الله وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله: ٥٥
وقوله الحق: ٥٥
• مسألة: من الذي يشهد له بالجنة؟: ٥٦
- أقوال أهل العلم في المسألة: ٥٦
- ترتيب الصحابة في الفضل كترتيبهم في الخلافة: ٥٨
• مسألة: من اعتقد أن علياً أولى بالخلافة من عثمان: ٥٩
[٨] والترحم على جميع أصحاب محمد وعلى آله، والكف عما شجر بينهم: ٦١
- موقف أهل البدع من الصحابة على طرفي نقيض: ٦١
الطائفة الأولى: الرافضة: ٦١
- من عقائد الرافضة الفاسدة: ٦١
الطائفة الثانية: النواصب: ٦٤
- الرافضة غلوا في أهل البيت وعبدوهم من دون الله، والخوارج والنواصب نصبوا العداوة لأهل البيت وآذوهم وتنقصوهم: ٦٤
[٩] وأن الله ﷻ على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله، بلا كيف: ٦٦
- الأدلة على أن الله بائن من خلقه: ٦٦
- أدلة العلو تزيد أفرادها على ثلاثة آلاف دليل: ٦٦
- الاستواء على العرش في سبع مواضع في كتاب الله: ٦٦
[١٠] أحاط بكل شيء علما، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: ٦٩
- الجهمية الذين أنكروا علو الله على خلقه طائفتان: ٧٠

الموضوع | الصفحة

الطائفة الأولى: الذين أنكروا علو الله على خلقه: ٧٠
- كلمة (مع) في اللغة العربية لا تدل على الاختلاط، وإنما تقتضي مطلق المصاحبة: ٧٠
الطائفة الثانية: من الجهمية الذين نفوا العلو والاستواء: ٧١
[١١] والله تبارك وتعالى يُرى في الآخرة، يراه أهل الجنة بأبصارهم: ٧٣
[١٢] ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء: ٧٣
- الأدلة على إثبات الرؤية من القرآن والسنة: ٧٣
- محل رؤية المؤمنين لربهم: ٧٥
- اختلف العلماء في رؤية النبي لربه لما عرج به على قولين: ٧٥
- الصواب الذي عليه المحققون: أن النبي لم يرى ربه ليلة المعراج: ٧٦
- الجواب عن المرويات في الرؤية بالبصر: ٧٧
- مذهب أهل البدع في رؤية الله: ٧٩
[١٣] والجنة حق والنار حق وهما مخلوقان لا يفنيان أبدا: ٨٢
[١٤] والجنة ثواب لأوليائه، والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله ﷻ: ٨٢
- الأدلة على أن الجنة والنار حق وأنهما مخلوقتان: ٨٢
- مذاهب أهل البدع في الجنة والنار: ٨٤
• مسألة: فناء النار: ٨٦
- قدر مُكْث عصاة الموحدين في النار: ٨٦
- والعصاة الموحدون الذين ماتوا على التوحيد أقسام: ٨٧
[١٥] والصراط حق: ٨٩
- اختلف العلماء على قولين في الورود: ٩٠
- الصواب أن المراد بالورود في الآية هو المرور على الصراط: ٩٠
[١٦] والميزان حق، له كفتان توزن فيه أعمال العباد؛ حسنها وسيئها حق: .. ٩١
• مسألة: اختلف العلماء هل هو ميزان واحد أم موازين متعددة؟ ٩٢
- مذهب أهل البدع في الميزان والصراط: ٩٢
[١٧] والحوض المكرم به نبينا حق: ٩٣
- صفة الحوض: ٩٣
• مسألة: في مسافة الحوض: ٩٤
• مسألة: اختلف العلماء هل الأنبياء لهم أحواض أم هو خاص بنبينا؟ ... ٩٥
• مسألة: اختلف العلماء في الحوض والميزان أيهما يقدم؟ ٩٥

الموضوع | الصفحة

• مسألة: الصراط والميزان اختلف العلماء أيهما يسبق الآخر؟ ٩٦
[١٨] والشفاعة حق: ٩٧
[١٩] وأن ناساً من أهل التوحيد يخرجون من النار بالشفاعة حق: ٩٧
- أنواع الشفاعة: ٩٧
الشفاعة الأولى وهي الشفاعة العظمى: ٩٧
- الشفاعة لها شرطان: ٩٩
الشفاعة الثانية: الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم في دخولها: ١٠٠
الشفاعة الثالثة: شفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب: ١٠٠
الشفاعة الرابعة: الشفاعة في قوم من العصاة استحقوا دخول النار فلا يدخلونها: ١٠١
- الشفاعة في العصاة، أنكرها الخوارج والمعتزلة: ١٠١
الشفاعة الخامسة: في الإذن لأهل الجنة في دخولها: ١٠٢
الشفاعة السادسة: في رفع درجات قوم من أهل الجنة وزيادة ثوابهم: ١٠٢
الشفاعة السابعة: ومنهم من زاد، الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم: ١٠٢
[٢٠] وعذاب القبر حق: ١٠٣
[٢١] ومنكر ونكير حق: ١٠٣
- الأدلة على إثبات عذاب القبر: ١٠٣
- الصواب أن النعيم والعذاب يكون للروح والجسد معا: ١٠٦
- مذهب أهل البدع في عذاب القبر ونعيمه: ١٠٧
[٢٢] والكرام الكاتبون حق: ١٠٨
- مذهب أهل البدع في الملائكة: ١١٠
[٢٣] والبعث من بعد الموت حق: ١١١
- البعث أصل من أصول الإيمان، فمن أنكره فهو كافر بإجماع المسلمين: ١١١
- أمر الله نبيه أن يقسم على البعث في ثلاث مواضع من كتابه: ١١١
- مذهب أهل البدع في البعث: ١١٢
- تتمة صورة البعث: ١١٢
[٢٤] وأهل الكبائر في مشيئة الله: ١١٤
[٢٥] ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل أسرارهم إلى الله: ١١٤
- أصح ما قيل في تعريف الكبيرة: ١١٤

الموضوع | الصفحة

- صاحب الكبيرة يسمَّى: مسلماً، ولا يسمَّى مؤمناً عند أهل السنة والجماعة: ١١٧
- حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة: ١١٨
- مذهب أهل البدع في مرتكب الكبيرة: ١٢٠
الطائفة الأولى: الخوارج؛ يرون أن مرتكب الكبيرة كافر: ١٢٠
• مسألة: كوننا نحكم على هذا الشخص بعينه بأنه معذب؛ فإننا لا نجزم بذلك: ١٢١
الطائفة الثانية: المعتزلة؛ يوافقون الخوارج في كونه مخلد في النار، لكنهم يخالفونه في التكفير: ١٢٢
الطائفة الثالثة: المرجئة؛ الذين يقولون إن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان: ١٢٣
- خلاصة الباب: ١٢٥
- قاعدة: أهل الزيغ والضلال يأخذون ببعض النصوص ويتركون الآخر: ١٢٥
[٢٦] ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان: ١٢٨
[٢٧] ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة: ١٢٨
- عقيدة أهل السنة والجماعة عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي: ١٢٨
- أيهما أعظم وأشد: مفسدة ظلم بعض الناس أو وجود بعض المعاصي أم مفسدة إراقة الدماء؟: ١٣٠
- الواجب عند رؤية المنكر: ١٣٠
- أحوال المنكر الذي تريد تغييره: ١٣١
- مذهب أهل البدع في الخروج على ولي الأمر: ١٣١
الطائفة الأولى: الخوارج، يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي: ١٣١
الطائفة الثانية: المعتزلة، يرون الخروج على ولاة الأمر بالمعاصي: ١٣١
- الأصول الخمسة عند المعتزلة: ١٣١
الطائفة الثالثة: الرافضة، يرون الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي: .. ١٣٢
- وصية: ١٣٣
[٢٨] ونسمع ونطيع لمن ولاه الله ﷻ أمرنا ولا ننزع يدا من طاعة: ١٣٥
- يطاع ولاة الأمور في أمرين في طاعة الله وفي المباحات: ١٣٥
- عدم الطاعة في المعاصي ليس معناه الخروج: ١٣٦
[٢٩] ونتبع السنة والجماعة: ١٣٨

الموضوع | الصفحة

[٣٠] ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة: ١٣٨
[٣١] وأن الجهاد ماض منذ بعث الله ﷻ نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء؛ والحج كذلك: ١٤٠
- الجهاد فيه خير ومصالح عظيمة: ١٤٠
- وهو خير للكفار من وجهين: ١٤١
[٣٢] ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين: ١٤٢
- الصدقات نوعان: ١٤٣
[٣٣] والناس مؤمنون في أحكامهم، ومواريثهم: ١٤٤
[٣٤] ولا ندري ما هم عند الله: ١٤٤
- من كان ملتزما بأحكام الإسلام ولم يظهر منه شيء من الكفر فإنه يعامل معاملة المسلمين: ١٤٤
[٣٥] فمن قال: إنه مؤمن حقا؛ فهو مبتدع: ١٤٦
- وكذلك من قال: إن فلافا مؤمن حقا، لأنه قال قولا بغير علم: ١٤٦
- شعب الإيمان متعددة والواجبات كثيرة ولا تدري هل أديت الواجب الذي عليك أو لا، فتقول: مؤمن إن شاء الله: ١٤٦
- بخلاف المرجئة فيقول الواحد منهم: أنا مؤمن، ولا يستثني: ١٤٧
[٣٦] ومن قال: هو مؤمن عند الله؛ فهو من الكاذبين: ١٤٨
[٣٧] ومن قال: هو مؤمن بالله حقا؛ فهو مصيب: ١٤٨
[٣٨] والمرجئة والمبتدعة ضلال: ١٤٩
- طوائف المرجئة: ١٤٩
- أهل السنة والجماعة يقولون: إن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: ١٤٩
[٣٩] والقدرية المبتدعة ضلال: ١٥١
[٤٠] ومن أنكر منهم أن الله لا يعلم ما لم يكن قبل أن يكون فهو كافر: ١٥١
- الطائفة الثانية: هم سائر المبتدعة: ١٥١
- شبهتهم: ١٥١
من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار: ١٥٢
[٤١] وأن الجهمية كفار: ١٥٣
- يُنسبون إلى الجهم بن صفوان: ١٥٣
- المؤسس الأول هو الجعد، فالأصل أن يقال الجعدية لكن: ١٥٤

الموضوع | الصفحة

[٤٢] وأن الرافضة رفضوا الإسلام: ١٥٦
- تعريف الإسلام: ١٥٦
- طبقات الشيعة: ١٥٧
[٤٣] والخوارج مُرّاق: ١٥٨
- الصحابة عاملوهم معاملة المبتدعة كما ذكر شيخ الإسلام: ١٥٨
- مرقوا من الدين بجهلهم وضلالهم: ١٥٨
[٤٤] ومن زعم أن القرآن مخلوق، فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة: ١٥٩
- من قال: إن القرآن مخلوق فهو كافر لما يلي: ١٥٩
- الشخص المعين لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة وتنتفي الموانع: ١٥٩
[٤٥] ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر: ١٦٠
[٤٦] ومن شك في كلام الله فوقف شاكا فيه يقول: لا أدري مخلوق، أو غير مخلوق فهو جهمي: ١٦١
- الحكم واحد فيمن قال بأن القرآن مخلوق ومن توقف شاكا، وذلك لوجهين: ١٦١
[٤٧] ومن وقف في القرآن جاهلا علم وبدع ولم يكفر: ١٦١
[٤٨] ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي؛ أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي: ١٦٢
[٤٩] وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر: ١٦٣
[٥٠] وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية، يريدون إبطال الآثار: ١٦٥
- كان الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر يُسمى على عهد رسول الله: منافقا: ١٦٥
- ثم بعد عصر الصحابة كان يُسمى: زنديقا: ١٦٥
- ثم بعد في زماننا صار يُسمى: علمانيا: ١٦٥
- ويطلق الزنديق على: الجاحد المعطل: ١٦٥
- الحشوية في اللغة هم: : ١٦٦
- والحشو في الاصطلاح هو: : ١٦٦
- أما القرآن فلا يستطيعون إبطاله، فلجؤوا إلى تحريف معانيه: ١٦٧
[٥١] وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة ونابتة: ١٦٨
[٥٢] وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مُجْبِرة: ١٧٠
[٥٣] وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية: ١٧١

الموضوع | الصفحة

- سُموا مرجئة من الإرجاء وهو التأخير: ١٧١
[٥٤] وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة: ١٧٣
[٥٥] وظل هذا الأمر: ١٧٥
[٥٦] ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد: ١٧٦
[٥٧] ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء: ١٧٧
قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة: ١٧٨
[٥٨] يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع، يُغلِّظان في ذلك أشد التغليظ: ١٧٨
- التفصيل في مسألة الهجر: ١٧٨
- تقرير شيخ الإسلام في مسألة الهجر: ١٧٩
[٥٩] وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار: ١٨٢
[٦٠] وينهيان عن مجالسة أهل الكلام: ١٨٢
[٦١] والنظر في كتب المتكلمين: ١٨٢
[٦٢] ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدا: ١٨٢
- إن لم يتداركه الله برحمته: ١٨٣
[٦٣] قال أبو محمد: (وبه أقول أنا): ١٨٤
- مجمل عقيدة الإمامين الرازيين: ١٨٤
وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: "وبه أقول": ١٨٤
وقال شيخنا ابن المظفر: "وبه أقول": ١٨٤
وقال شيخنا - يعني المصنف - اللالكائي: "وبه أقول": ١٨٤
خاتمة: ١٨٦
فهرس الموضوعات والفوائد: ١٨٧